مجلة شهرية

عدد: 71 :Issue No
تمّوز 2013 July

نور المسيح
ΦΩΣ ΧΡΙΣΤΟΥ

جمعية نور المسيح ، رقم: ٥٨٠٣٢٧٩١٤ ، ص.ب. ٦١٩ قانا الجليل ١٦٩٣٠
Nour Almasih / Light of Christ, Registered Society No. 580327914 - P.O.Box 619 , Cana of Galilee 16930, website:www.lightchrist.org

# الرسل الأطهار قاعدة الإيمان

دير الرسل القديسين في كفرناحوم

فتقدّم يسوع وكلّمهم قائلاً:
دُفعَ إليَّ كلُّ سلطان في السماء
وعلى الأرض. فاذهبوا وتلمذوا
جميع الإمم وعمّدوهم باسم
الآب والابن والروح القدس،
وعلّموهم أن يحفظوا جميع
ما أوصيتكم به. وها أنا معكم
كلّ الأيام إلى إنقضاء الدهر.

متى 28:19-20

# محتويات العدد


| | |
|---|---|
| 2 | نحن لا نعلم ماذا نعمل |
| 3 | كلمة غبطة البطريرك<br>كيريوس كيريوس ثيوفيلس الثالث |
| 5 | لحظة من حياتك |
| 6 | هامتا الرسل بطرس وبولس<br>عظة: للذهبي الفم |
| 7 | رمز الحيوانات الأربعة<br>في الكنيسة |
| 8 | القديس يوحنا المعمدان<br>في الليتورجيا |
| 12 | خطيّة آدم |
| 14 | القديس أندراوس الأورشليمي<br>أسقف كريت |
| 15 | العظة الصامتة الناريّة |
| 16 | العظات ١٨ لطالبي العماد<br>القديس كيرلّس الأورشليمي |
| 17 | التوبة ... وقول الشاعر |
| 18 | ثياب الحشمة - للذهبي الفم |
| 19 | عظمة الكاهن<br>للقديس مكسيموس المعترف |
| 20 | الإستعداد للإعتراف<br>القديس نيقوديموس الآثوسي |
| 21 | العهد القديم (٥٥) |
| 22 | الأرثوذكسيّة<br>قانون إيمان لكل العصور |
| 23 | اليوم إن سمعتم صوته |



توزع هذه المجلة مجاناً

جمعية نور المسيح : كفركنا - الشارع الرئيسي

(الهي الجنوبي) ص. ب. ٦١٩ تلفاكس ٠٤/٦٥١٧٥٩١

تقبل التبرعات مشكورة في بنك العمال - الناصرة

حساب رقم : 12-726-111122

e-mail: light_christ@yahoo.com

ترتيب وتحضير : هشام ميخائيل خشيبون - سكرتير جمعية نور المسيح

إنّ الإنسان الذي يطلب من مَلك أرضي كيس من النفايات ، يُحتقر ويُحسَب طَلَبُه إهانة للملك بسبب حقارة طَلَبِه.خاصة لو كان ذلك أمام عظماء المملكة. هكذا منَ يطلب من اللّه ملك الملوك ورب الأرباب **الجسديات** وأمور العالم الباطلة ، يُحتَسَب طلبه إهانة للّه. خاصة وأن طلَبَه أمام ملائكة اللّه.

إنّ عظماء المملكة السماوية من الملائكة ورؤساء الملائكة يتأملونك ويرقبونك ليروا ويسمعوا ما تطلبه من ربهم. فلتكن طلباتك من اللّه أن تعاين مجده في ملكوته «أطلبوا أولاً ملكوت اللّه وبرّه» (مت٦:٣٣) فلتكن طلبتك من اللّه أن ينجيك من الأعداء المحيطين بك ويتربصون لك لكي يهلكوك. لكي يخلّص نفسك من الهلاك. «نجني من يد أعدائي» (مز٣٠:١٥).

عندما هاجم الأعداء يهوشافاط ملك يهوذا نادى بصوم في كل يهوذا. وصلى صلاة عميقة جداً قال فيها عبارة من أروع العبارات، وكلماتها من أجمل الكلمات التي تنبع من فم إنسان. قال: «ونحن لا نعلم ماذا نعمل ولكن نحوك أعيننا» (٢ أي٢٠:١٢). فَتَدَخَّلَ الرب في المعركة لينجي يهوشافاط. فحدث في المعركة لجيش الأعداء ما لم يحدث في تاريخ المعارك ، **لقد تحوّل الأعداء بعضهم ضد بعض**. ووقف يهوشافاط يرنم ترنيمة الخلاص. كانت الصلاة عنده أقوى من كل آلات الحرب وأسلحة القتال.

ومنذ ذلك الوقت وحتى الآن مضت قرون ومرّت أجيال وتغيّرت عصور ، ولكن اللّه هو هو أمساً واليوم وإلى الأبد. لا يتغيّر ، وهو على استعداد ان يفعل في حياتي وحياتك ما فعله قديماً. متى صرخنا بإيمان ورجاء قائلين: «ونحن لا نعلم ماذا نعمل ولكن نحوك أعيننا». يستقبل صرختك في الليل العميق الدُجَى المتلىء بالضيقات والآلام. فيحوّل الليل إلى اختبار عميق ، وَسَيُخْرِجُ النور من عمق الظلمة ، وَسَيُخْرِجُ من الجافي حَلاوة ومن الآكل أكلَة. «يقودك من وجه الضيق إلى رحبٍ لا حصرَ فيه» (أي ٣٦:١٦).

فقط أنظر إليه ليخلص نفسك «التفتوا إليَّ واخلصوا يا جميع أقاصي الأرض لأني أنا اللّه وليس آخَرَ» (إش٤٥:٢٢). ثبّت نظرك عليه. لأننا لا نستطيع أن نصعد إليه في سمائه إن لم يحملنا هو على أجنحة الروح وينجي أنفسنا من المعوّقات التي تمنع إنطلاقها نحوه. «ونحن لا نعلم ماذا نعمل ولكن نحوك أعيننا» .

## صديقي القارىء

هل تشعر بالقلق على مستقبلك ؟ هل تتساءل في نفسك: يا تُرى سأنجح هذه السنة في الإمتحان؟ يا تُرى سأجد وظيفة مرموقة؟ يا تُرى سأجد زوجة مناسبة؟ يا تُرى سأجد شقة أسكن فيها؟ يا تُرى .... إلخ

إن مثل هذه الأفكار تشغل تفكيرنا معظم الوقت إن لم يكن كلّ الوقت. ولكن يا له من وعد رائع نتمتع به كأولاد للملك السماوي. **إننا لو طلبنا ملكوت اللّه وبرّه** فسيعطينا هو كلّ احتياجاتنا ويهتم بكل مخاوفنا ويحل كل مشكلاتنا. لقد وعدنا قائلاً: «هذه كلها تُزاد لكم» (مت٦:٣٣).

ومعنى طلبنا لملكوت اللّه هو أننا نطلب أن اللّه يملك علينا وعلى حياتنا. وحينما يملك اللّه على حياتنا سيهتم بكل جوانبها ، سيهتم بروحياتها ونفسيتها ودراستها .. إن كان اللّه يملك على حياتنا. فبالتأكيد ستكون حياتنا في أفضل صورة.

يقول القديس بولس: «بل إني أحسب كل شيء أيضاً خسارة من أجل فضل معرفة المسيح يسوع ربي الذي من أجله خسرت كل الأشياء وأنا أحسبها نفاية لكي أربح المسيح» (في٣:٨). فهل ينطبق هذا القول على حياتنا ؟ هل انتَ شبعان بالربّ وتحسب كل الأشياء المادية والامتيازات الزمنية التي حُرِمْتَ منها بسبب ظلم الآخرين، **خسارة ونفاية** من أجل فضل معرفتك للمسيح ربّك. ومن أجل ان تربح المسيح وان يُكتب اسمك في سفر الحياة.

وأنت أيتها **الفتاة المتدينة**.. ماذا تفعلين إذا تقدّم للزواج منك شابٌ وسيمٌ وغنيٌّ وذو مركز مرموق ، ولكنه ليس له أي علاقة بالمسيح؟ هل تشعرين أن كل مميّزاته هذه بدوم معرفته للمسيح **خسارة ونفاية** وتضحي به لكي تربحي المسيح؟ أم إنَّك تعتبرين هذا الشاب أنه ربحٌ ، ومن أجله تضحين بالرب يسوع وعلاقتك به في حياتك؟.

لا تطلبوا أيها الأحباء من الرب **نفايات** بل اطلبوا مجد اللّه في حياتكم ومجد السماء بعد نهاية رحلتكم إلى اللّه. هذه هي أسمى طلبة طلبها موسى النبيّ: «**أرني مجدك**» (خر٣٣:١٨).

# كلمة صاحب الغبطة بطريرك المدينة المقدسة أورشليم
# كيريوس كيريوس ثيوفيلوس الثالث
# بمناسبة أحد الأعمى ، في مدينة عمان

«إنّي أتقدم إليك أيها المسيح. وانا مكفوف حدقتيّ نفسي كالأعمى منذ مولده. صارخاً إليك بتوبة. أنتَ هو النّور الفائق الضياء للذين في الظلام».

هكذا يصرّح مرنّم كنيستنا المقدسة.

**أيها الأخوة الأحباء بالمسيح**
**أيها المسيحيّون الحسنيّ العبادة**

في هذا الأحد المقدس ، الكليّ الغبطة والوقار ، وهو السادس من الفصح المجيد ، فصح قيامة ربّنا وإلهنا ومخلصنا يسوع المسيح الظافر من بين الأموات.

إنّ المحبّة العظمى التي تغمر جوارحنا والتي تنبع من نبضات قلوبنا ، تقود خطواتنا نحو هذه الكنيسة الرائعة بجمالها، المكسوّة بالمهابة والجلال. فها إنّ الشعب والإكليروس يحتفلان بالسرّ العظيم لإيماننا القويم الرأي ، بالمسيح يسوع الذي وُلِدَ من دماء النقيّة والدة الإله الدائمة البتوليّة مريم ، وقوّة الروح القدس ، حيثُ تألّم وصُلِبَ عنّا ، ومن أجل خلاصنا ، ساحقاً قوّة الموت ، بقيامته الظافرة الثلاثيّة الأيام.

هذا بالتدقيق، كلمة اللّه ربّنا يسوع المسيح الذي تأنّس وتجسّد من دماء العذراء ، هو ، الذي بعظيم محبّته غير المستقصاة ، وَهَبَ نعمتَهُ الإلهيّةَ الشّافيةَ للأعمى مُنذ مولده، حسب الشهادة الصادقة ، التي دوّنها في الإنجيل الشريف ، القديس يوحنّا اللاهوتي: «وفيما هو مجتازٌ رأى إنساناً أعمى منذ ولادته. فسأله تلاميذُهُ قائلين: «يا معلمُ ، من أخطأ: هذا أم أبواهُ حتى وُلِدَ أعمى ؟». أجاب يسوعُ: «لا هذا أخطأ ولا أبواهُ ، لكن لتظهر أعمال اللّه فيه» (يو٩: ١-٣).

**فعلاً أيها الأحباء**

إنّ قوّة وعظمة المحبّة الإلهيّة نحو جنس البشر ، تألّقتْ بعمل المسيح الإله بشفائه العجائبيّ للمولود الأعمى . وكما يقولُ القديسُ كيرلّس الإسكندري: «إنّ الطاقةَ العلويّةَ الإلهيّةَ التي تسندُ كلَّ شخص متألمٍّ ، تحرّرُهُ من ألمه هذا ، ليستقبلَ بدوره عملَ اللّه الخلاصيِّ فيه، فتجعله ينذهلُ وَيستغربُ من هذا العملَ الخارقَ للطبيعة ، الأمر الذي يحذو به إلى المسكنة والإقرار بالعرفان ». « لا أحد يستطيعُ أنْ يتجاهلَ ، أو أن يتغاضى، عن هذه القوّة المذهلة الجبّارة ، التي كان لها وَقْعُها ، ولها ردّةُ فعلها، وقوّةُ تأثيرها».

قوَى الطاقة غير الموصوفة لدى كلمة اللّه مخلصنا يسوع المسيح ، تتعاضد معنا، ونتفاعلُ معها، ونتيقّن من وجودها ، شاهدين قوّةَ تأثيرها ، سواء في حدَقَتيِّ العينَ الجسديّة ، وحدقتي العين النفسيّة أيضاً ، إنّ قوّة اللّه العجيبة والعظيمة في مقدورها ، تجلّتْ في تأسيس كنيسة المسيح على الأرض، هذا لأنّ الكنيسة المقدّسة هي جسدُ المسيح القائم من بين الأموات ، والذي أتمّ سرَّ التدبير الإلهي في هذا العالم الأرضيّ. لذلك فنحن أبناءُ النّور المستنيرون من نور موهبة الروح القدس ، من خلال مفاعيلَهُ في المعموديّة الإلهيّة المقدسة، أصبحنا أعضاءً في جسد الكنيسة ، أي أعضاءً في جسد المسيح السريِّ .

الكنيسةُ هي ظهورُ ووجودُ المسيح حولَنا وفي العالم ، هي وجودٌ منظورٌ وغيرُ منظور، بنفس الوقت كنيستُنا هي **بِرْكَةُ سلوام** ، والتي تَحقّقَ فيها قولُ المولود أعمى: «أجاب ذاكَ وقال: «إنسانٌ يُقالُ له يسوعُ صنعَ طيناً وطَلَى عينَيَّ ، وقال لي: إذهب إلى بركة سلوام واغتسل. فمضيتُ واغتسلتُ فأبصرتُ» (يو٩ :١١).

هذا الحدثُ المعجزُ لعلاج الأعمى ، تحوّلَ لسَبب عَثَرَة لدى الفريسيّين ، فالإستغرابُ قوّضَ فكْرَهُمْ ، والدَّهْشَةُ والحيرةُ إمتلَكَتْ قُلوبَهُمْ ، كيف ولا وهم يعتبرون أنفُسَهُمْ أنّهُمْ وَحدَهُمْ المستنيرينَ ، لكنّ في الواقع كانت حَدَقاتُ نفوسهم مكفوفة.

لهذا سُئِلَ المُعالَجُ مرَّةً أُخرى: «فقالوا له أيضاً: «ماذا صنعَ بك؟ كيفَ فتحَ عينيكَ ؟». أجابَهُم: «قد قلتُ لكم ولم تسمعوا. لماذا تُريدونَ أن تسمعوا أيضاً؟ ألَعلّكم أنتم تُريدونَ أن تصيروا له تلاميذَ؟». فشتمُوه وقالوا: «أنتَ تلميذُ ذاكَ، وأمّا نحنُ فإنّنا تلاميذُ موسى. نحنُ نعلَمُ أن موسى كلَّمَهُ اللّه ، وأمّا هذا فما نعلمُ منْ أين هو». أجاب الرّجلُ وقال لهم: «إنّ في هذا عجباً! إنكم لستم تعلمونَ من أين هو ، وقد فتحَ عينيَّ» (يو ٩: ٢٦ – ٣٠).

هذا الجوابُ الذي ردّ به المولودُ أعمى ، أستفزَّ الفريسيين ، لأنّهُ خاطبهم قائلاً: كيف لكم أن ترفضوا شخصاً لا تعرفون من هو ، هل هذا الشخصُ مُرسلٌ من اللّه ؟ ، فإنّ هذا الغيرَ معروف عندَكُمْ والذي ترفضونَهُ جملةً وتفصيلاً بدون سبب مُقنع ، هذا الشخصُ قد فتحَ عينيّ ، أنا المولود أعمى من بطن أمّه.

إنّ ردّة هذا الفعل المقاوم ، الذي تمسَّك به الفرّيسيون، نعيشه وللأسف في أيامنا هذه الحاضرة .

إنّ الفريسيين ، كانوا الملمّين بالمعرفة ، ولديهم سعةُ إطلاع كبيرة فَهُمْ الحافظون للكتاب المقدس والتفاسيرَ ، فالذودُ عن حياضِ الإيمان كانت أولى مسؤولياتهم ، ولكنَّ لصلفهم وجحودهم ، لم يتمكّنوا من إعطاء ، الإعتراف الصحيح ، الذي يَستحقُّهُ المسيحُ بكلِّ جدارة ؛ فوقعوا في تناقضٍ مرٍّ ، سلبَ منهُمْ سلامَهُم الداخليّ.

إنّنا في هذه الأيام ، نلاحظُ أنّ جماً كبيراً من الناس ، يتمتّعون بكفاءات عالية ، وجدارة خاصة ، فإنّ منزلَتهم الإجتماعيّة والثقافيّة والإقتصاديّة ، تسمح لهم **بالزهوِّ والخيلاء** ، هكذا بحمقهم يتغاضونَ عن المعرفة الحقيقيّة الصادقة المخلّصة للمسيح والإنجيل المقدس.

لربما هناك من العلماء ، والفقهاء التي أسمائُهُم مرفوعةٌ على راية العلم والمعرفة في أصقاع الأرض ، لكنّ في مدرسة المسيح ، فإنّهم صمٌّ بكمٌ لا يعرفون ، رافضين بحريتهم هذه التعاليمَ الخلاصيّةَ. «ماذا ينتفعُ الإنسانُ لو ربحَ العالمَ كلّه – **بالشُّهْرَة ، والمجد ، والشرف ، والمال** – وَخَسِرَ نَفْسَهُ».

كما كانَ الأعمى المُعالَجُ ، يقفُ بحزم أمامَ دور الفريسيين الرافض ، هكذا كلُّ شخص ، يستلمُ الخبرةَ الصالحةَ والمسلك القويم ، والإستنارة بتعاليم ربّنا يسوعَ المسيح ومواهبَهُ الفيّاضة ، سيندهش ، كيف أولئك الناسُ يظهرون جهلاءَ ، وبدون منطق ، حيث يمتلكُهُم الإستفزازُ ، ويعلوهم الرَّفضُ للأمور الجوهريّة التي تقودُ نفوسَهم إلى الخلاص والتمتع بمجد المسيح ، ونوره الذي لا يعروه مساءٌ.

هذه هي النتيجةُ الطبيعيّةُ ، لإستعمال الحريّة بشكل خاطىء ، لأنّ رذيلةَ الكبرياء حينما تسيطرُ على فكرِ وقلبِ الإنسانِ ، تسوقه إلى طريق الضياع ، وتفقده بوصلةَ التواضع المؤديّة إلى ميناء الخلاص ، فتكونُ عندها حدقاتُ النفس مكفوفةٌ ، لهذا يصرّح مرنّمَ الكنيسة قائلاً: «إنّي أتقدم إليك أيها المسيح. وانا مكفوف حدقتيّ نفسي كالأعمى منذ مولده. صارخاً إليك بتوبةٍ. أنتَ هو النّور الفائق الضياء».

بالنسبة للنور فائق الضّياء ، ما هو إلاّ نورُ القيامة الذي شعَّ من جسد المسيح القائم من بين الأموات ، إنّه النورُ الذي يُنيرُ كلَّ إنسان آت إلى هذا العالم ، إنّه النّورُ للذي يريدُ أنْ يخلُص ، ويصلَ إلى المعرفة المعلنة من الإله الحقيقيّ.

نحنُ مدعوون أيّها الأخوةُ الأحباء ، أن نصير شركاءً في هذا النّور للمسيح كلمة اللّه القائم من بين الأموات ، من خلال كنيستنا وبفم مرنّمها القائل:

«يا ربّ انر حدقتيَّ العقليتين المكفوفتين من ادلهمام الخطيئة واطلهما بالاتضاع ايها الرؤوف وارحضها بعبرات التوبة».

بشفاعات القديسة والدة الإله ، الدائمة البتوليّة مريم ، وشفاعة القديس يوحنا الروسي الصانع العجائب الذي نحتفلُ بتذكاره اليومَ وجميع القديسين ، أن تستنيرَ حدقاتُ نفوسنا بنور المعرفة ، وتثبتُ فيها ، لنوال حظّ المخلَّصين الأيمن ، المُعَد لنا من ربّنا يسوع المسيح ، الذي له كلُّ مجد وإكرام وسجود مع أبيه وروحه القدوس الآن وكل أوان ، وإلى دهر الداهرين. آمين

## وكل عام وانتم بخير

**الداعي بالرب**
**البطريرك ثيوفيلوس الثالث**
**بطريرك المدينة المقدسة أورشليم**

## سُجلت هذه الأمور لكي نقتدي بها.. للقديس يوحنا الذهبي الفم

**الرجل الأعمى، الشحّاذ، الذي لم يكن بعد قد رأى السيد وقد أظهر جرأة باستقامة قبل أن يشجعه المسيح، ووقف في وجه كل القتلة المسوسين من الشيطان، الثائرين، الذين أرادوا بكل وسيلة أن يدينوا المسيح. فإنه لم يخضع لهم ولا أعطاهم القفا بل بجرأة أبكم أفواههم، مفضلاً بالأحرى أن يُطرد خارجًا عن أن يخون الحق.**

**كم بالأكثر يليق بنا نحن الذين نعيش زمانًا طويلاً في الإيمان ورأينا ربوات المعجزات تتم بالإيمان، وتقبّلنا بركات أعظم مما نالها هو، إذ انفتحت أعيننا الداخلية، وتعرفنا على إسرار لا توصف، ودعينا إلى كرامة عظيمة كهذه، أقول كم يلزمنا أن نظهر جرأة في الحديث مع الذين يتهمون المسيحيين، ونبكم أفواههم دون أن نخنع في ضعف.**

**يمكننا أن نفعل ذلك إن كانت لنا جرأة، وكنا مهتمين بالكتب المقدسة ونسمعها بغير إهمال.**

# لحظة من حياتك

لكاتدرائية (ميلانو) باب ذو ثلاثة مداخل نُقشَ على المدخل الأيمن باقة جميلة من الورد ، وكُتبَ بجوارهاَ هذه الكلمات:
(كل ما **يُسعدنا** إنما هو إلى لحظة).
ورُسمَ على المدخل الأيسر إكليلاً من الشوك وكُتبَ إلى جواره:
(كل ما **يُشقينا** إنما هو إلى لحظة).
أما المدخل الرئيسي فكُتبَ عليه بأجمل الخطوط:
(كل ما **هو أبدي** جديرٌ بكل لحظة).

**عزيزي**

لا تضيّع عمرك هباءً ، بل استثمر كل لحظة من عمرك وكرّسها لصالح الأبديّة. ضَع أبديّتك أمامك في كل لحظة.

يعجبني قول أحد الآباء الرهبان المعاصرين ، عندما دقّت ساعة الحائط المعلقة في قلايته سأله رئيس الدير:
هل تدق هذه الساعة في نهاية كل ساعة كاملة ؟
أجابَ: نَعم ، لكي ما تذكرني أنه قد مرّت عليّ ساعة كاملة دون أن أفعل فيها شيئاً صالحاً.
إنه قولٌ جميل يدل على حياة التدقيق واستثمار الوقت فيما يرضي الرب وحياة مقدّسة تمجّد خالقها.

تذكّر دائماً أيها الحبيب أن ...
(كُل ما هو أبدي جديرٌ بكل لحظة) من لحظات حياتك.
إن لحظة الموت هي أجمل لحظات العمر في حياة الإنسان القديس الذي أرضى اللّه بأعماله الصالحة كل حين. لأنه يجني فيها ثمار الفضيلة التي مارسها.
إن الموت **راحة** لمن عاش حياة النقاوة على الأرض، **وسعادة** لمن أحبّ اللّه من كلّ قلبه، **وشقاء وتعاسة** لكل من تهاون في حقّ نفسه أمام اللّه.
إستعد أيها الحبيب للقاء ربّك ومسيحك ، وكُن كالرعاة الساهرين الذين كانوا يحرسون حراسات الليل ، فاَستحقوا ذلك الفرح العظيم الذي بشّرهم به الملاك بمجيء الربّ الأوّل. (لو٢:١١).
وَدع في اعتبارك دائماً أنّ:
(كل ما هو أبدي جديرٌ بكل لحظة من لحظات عمرك).
يقول عاموس النبي: «إستعد للقاء إلهك» (عا٤:١٢).
إنّك باستعدادك للموت تربح ثلاثة أمور:
١ ـ تربح التعزية في حياتك.
٢ ـ تربح التعزية عند موتك .
٣ ـ تربح أمجاد السماء .

فما أحلى الموت للمستعدين ، وما أبهج الموت للمنتظرين .. فلا تفكر فيما مضى من حياتك. بل فكّر فيما تبقى منها.
لا تفكر كيف تعيش حسناً ، بل فكر كيف تموت حسناً. إنّ الكنيسة تعلّمنا أن كل (ما هو أبدي جديرٌ بكل لحظة) فهي تذكرنا

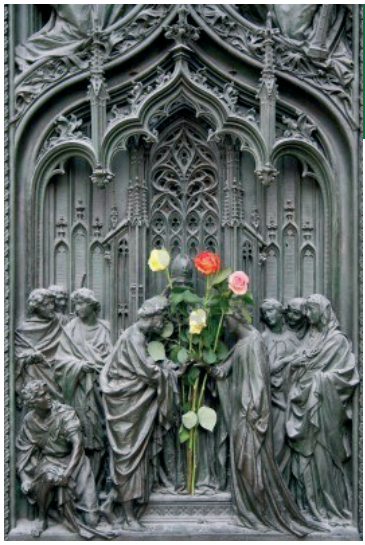

بالموت والأبديّة في جميع صلوات ساعات اليوم.

وفي صلاة السَحَر نقول:
سيوافي القاضي على غفلة وتُجَرَّد اعمال كلّ انسان. فلنصرخنَّ في نصف الليل عن خشية هاتفين: قدّوسٌ قدّوسٌ قدّوسٌ أنت يا اللّه بشفاعة والدة الإله إرحمنا.

وفي صلاة الساعة الأولى نقول:
تداركنا سريعاً ايها المسيح الهنا بشفاعة والدة الإله يا محبَّ البَشر. قبل ان يستعبدنا الاعداء الذين يجدّفون عليك ويتوعّدوننا. وأبعِد بصليبك الذين يحاربوننا.

وفي صلاة الساعة الثالثة نقول:
يا والدة الإله الطاهرة انت هي الرجاءُ والشفيعة والملجأُ للمسيحيين والسور الذي لا يُقتَحم والميناء الأمين للمضنوكين. فبما انك مخلّصة العالم بشفاعاتك التي لا فتور لها اذكرينا ايتها العذراء يا ذات كلّ تسبيح.

وفي صلاة الساعة السادسة نقول:
لقد صنعتَ خلاصاً في وسط الأرض ايها المسيح الإله ، لمّا بسطت يديك الطاهرتين على الصليب. فجمعت كلَّ الأمم صارخةً يا ربّ المجد لك.

وفي صلاة الساعة التاسعة نقول:
يا من ذاق الموت بالجسد في الساعة السادسة من اجلنا ، أَمِت اهواءَنا الجسديّة ايها المسيح الهنا وخلّصنا.

وفي صلاة الغروب نقول:
يا والدة ان بطنك قد حصل مائدة مقدَّسة حاملة الخبز السماوي المسيح الهناَ الذي كل من يأكل منهُ لا يموت كما قال المغذّي الكلّ.

وفي صلاة النوم نقول:
يا ربّ ان دينونتك لمرهوبة اذ تكون الملائكة واقفين والناس محشورين والكُتُب تُفتح والاعمال تُكشَف والافكار تُستَطلع. فأيَّة دينونة تكون دينونتي انا المضبوط بالخطايا. مَن يطفىء لهيب النار عنّي. مَن يضيءُ ظلمتي إن لم ترحمني انتَ يا ربّ لأنّك محبٌّ للبشر.

وفي صلاة نصف الليل نقول:
ارح ايها المسيح ارواح عبيدك مع القديسين حيث لا وجع ولا حزن ولا تنهُّد. لكن حياة خالدة.

**كل ما هو أبدي جديرٌ بكل لحظة من حياتنا.**

# عظة لعيد القديسين المجيدين وهامتي الرسل بطرس وبولس
# للقديس يوحنا الذهبي الفم

هامتا الرسل بطرس وبولس

**«ولما جاء يسوع إلى نواحي قيصريّة فيلبّس سأل تلاميذَه قائلاً من يقول الناس أني أنا ابنَ الإنسان» (متى١٦:١٣).**

لماذا يذكر مؤسسَ المدينة، لأنّه يوجد مدينة أخرى بالاسم ذاته قيصريّة أسّسها ستراتون، وهي الواقعة على الشاطىء بين صور ويافا. أمّا المدينة التي يتكلّم عنها هنا فهي واقعة على ضفّة الأردن.

قادهم يسوع بعيداً عن اليهود لكي، بعد تحرّرهم من تعبهم، يكشفَ بجرأة عن أفكارهم العميقة. لماذا لم يطلب أوّلاً معرفة رأيهم بل طلب كمعرفة رأي الكثيرين ؟ هدفه، بعد ذكر رأي الآخرين، أن يسألهم «وأنتم مَن تقولون إني أنا ؟» بهذا الإستفهام يقودهم إلى معانٍ أسمى حتى لا يقعوا في الفكرة الشائعة عنه فيما بين الكثيرين. لذلك لم يطلب من البداية معرفةَ رأيهم لكنه بعد تحقيق عجائب كثيرة، بعد تكلّمه عن حقائق إيمانيّة سامية، وبعد إظهاره لهم براهين **عن ألوهيّته** وعن توافقه مع الآب، يطرح عليهم مثل هذا السؤال. لم يقل من يعتقد الكتبة والفرّيسيّون إني هو ... بل قال: «مَن يقول الناس إني أنا؟» باحثاً عن رأي الشعب غير المتحيّز. هذا الرأي كان أدنى من الحقيقة إلاّ أنّه مُعتَق من البحث، بينما رأي الكتبة والفرّيسين مليء من كلّ سوء ورداءة.

ولكي يُظهر مدى تشديده على مخطّط التدبير الإلهي أضافَ «أنا ابنَ الإنسان» قاصداً بهذه العبارة ألوهيّته. الأمر الذي حصل في أماكن كثيرة أخرى. حيث يقول مثلاً: «ليسَ أحدٌ صعد إلى السماء إلاّ الذي نزل من السماء، ابنُ الإنسان الذي هو في السماء» (يو٣:١٣). وفي مكان آخر: «فان رأيتم ابنَ الإنسان صاعداً إلى حيث كان أولاً» (يو٦:٦٢).

**«فقالوا. قومٌ يوحنا المعمدان وآخرون إيليا وآخرون إرميا أو واحدٌ من الأنبياء» (متى ١٦:١٤).**

هكذا شهد التلاميذ عن رأي الشعب المغلوط. بعدها أضاف الربّ يسوع:

**«قال لهم وأنتم من تقولون إني أنا» (متى١٦:١٥).**

يدفعهم من خلال سؤاله ثانية إلى تفكير أسمى حول شخصه ولكي يُظهر لهم أنّ رأيَ الشعب بعيدٌ عن الحقيقة جداً. لذا يطلب منهم جواباً آخر يختلف عن رأي الكثيرين الذين، بعد مشاهدتهم العجائب الفائقة الطبيعة، يعتقدون أنه إنسانٌ قام من بين الأموات كما عبّر بالضبط هيرودس: «هذا هو يوحنا المعمدان قد قام من الأموات ولذلك تُعمل به القوّات» (متى١٤:٢). لكن المسيحَ يريد أن يحرّرهم من هذا الاعتقاد، لذا يطرح عليهم كما ذكرنا السؤال الثاني: «وأنتم من تقولون إني أنا ؟» أنتم الذين معي بصورة دائمة تروونني أحقّق عجائب كثيرة وأنتم تحققون بقوّتي عجائب كثيرة.

ماذا يُجيب بطرس هامةُ الرسل وفمُهم الممتلىء حماساً في كلّ ظرف ؟ لقد سأل الرب التلاميذ كلّهم لكنّ بطرس هو الذي يجيب. عندما سأل عن رأي الشعب أجاب الرب كلّهم. لكن عندما سأل رأيهم بادر بطرس في الإجابة: **«وقال أنت هو المسيح ابنُ اللّه الحيّ. فأجاب يسوع وقال له طوبى لك يا سمعان بن يونا إنّ لحماً ودماً لم يُعلن لك لكن أبي الذي في السموات» (متى١٦:١٦-١٧).**

طبعاً جاء جوابُ بطرس بفعل الإعلان الإلهي. اعترافه اعترافٌ حقّ بأنّ المسيح هو الابن المولود من الآب نفسه. وقد استحقّ بطرس التطويبَ لأنّه لا يعتبر المسيح مجرّد إنسان. لقد سبَق التلاميذ وقالوا بعد هبوب العاصفة في البحر «بالحقيقة أنت ابنُ اللّه» (متى١٤:٣٣) ولم يُغَبَّطوا على ذلك مع أنّهم قالوا الحقيقة. ذلك لأنّهم لم يعترفوا به ابناً للّه كما فعل بطرس. كانوا يعتبرونه ابناً بين كثيرين ربّما أرفع من غيره لكن ليس من **جوهر الآب omoousios**. ونثنائيل أيضاً قال له: «يا معلّم أنت ابن اللّه أنت ملك إسرائيل» (يوحنا١:٤٩). لم يغبّطه هنا الربّ بل على العكس وبّخه وكأنّه يقول ما هو أدنى من الحقيقة. أجابه الربّ «هل آمنتَ لأنّي قلتُ لكَ إني رأيتك تحت التينة، سوف ترى أعظم من هذا» (يوحنا١:٥٠). لماذا يطوِّب إذاً بطرس على جوابه ؟ **لأنّه اعترف بالمسيح ابناً حقيقيّاً للّه**. لذا لم يقُل شيئاً مغبوطاً للسابقين.

أمّا لبطرس فيكشف له عن مصدر جوابه. هذا لكي لا يعتقد الباقون أنّ جوابَ بطرس جاءَ نتيجةً لمحبّته الكبيرة للمسيح وكأنّه يمالقه بالألقاب، لذا يكشف الربّ له عن المتكلّم في نفسه حتى تعلم أنتَ أيضاً أنّ الكلام الذي يأتي من فم بطرس مصدرهُ اللّه الآب، وحتى تؤمن أنّ كلام بطرس لم يعبّر فقط عن رأيٍ بشريّ بل عن حقيقة إلهيّة، عن عقيدة إلهيّة.

ولماذا لم يعترف المسيحُ نفسُه بنفسه، بل يحاول أن يكشفَ عن نفسه عن طريق سؤال التلاميذ ؟ لأنّه هكذا كان يليق به أن

يفعل بطريقة يُقنع بها التلاميذ فيعترفون به بأنفسهم ويؤمنون أكثر بكلامه.

أرأيت كيف أنّ الآب يكشف عن الابن؟ كيف أنّ الابن يكشف عن الآب؟ لأنّه يقول في مكان آخر: «ليس أحد يعرف من هو الابن إلاَّ الآب ولا من هو الآب إلاَّ الابن ومن أراد الابن أن يُعلن له» (لوقا ١٠:٢٢) ... مما يؤكّد على أنّ الابن مساوي للآب في الجوهر omoousios .

ماذا قال المسيح لبطرس: «أنت سمعان بن يونا وأنت تُدعى كيفا» أي صخراً (يو١:٤٢). بما أنّك كرزتَ بأبي ، أنا أذكر ذاك الذي ولدك وكأنّه يقول له: كما أنت ابنُ يونا بطريقة مشابهة أنا ابنُ أبي ومن جوهره. ولذلك أضاف: «أنت بطرس وعلى هذه الصخرة أبني كنيستي وأبواب الجحيم لن تقوى عليها» (متى١٦:١٨) ، **أي على إيمان الاعتراف بي**. بهذه الكلمات يكشف عن أنّه ينبغي أن يؤمن به كثيرون فيرفع هكذا تفكيرَ بطرس ويعيّنه راعياً. ان كان الجحيم لا يستطيع أن يقوى على الكنيسة فكم بالأحرى لن يقوى عليّ. لذلك لا تخف عند سماعك أني سأُسلم وأُصلَب.

وفيما يلي يُعطيه اكراماً آخر:

**«وأعطيكَ مفاتيحَ ملكوت السموات فكلّ ما تربطه على الأرض يكون مربوطاً في السماوات، وكلّ ما تحلّه على الأرض يكون محلولاً في السموات» (متى١٦:١٩).**

ما هو معنى الكلمة وأُعطيكَ ؟ كما ان الآب كشف لك ان تعرفني كذلك أنا سأُعطيك. لم يقل سوف أتوسّل إلى الآب لكي يُعطيك، ممّا يدلّ على سلطة كبيرة وعلى عظمة العطيّة: «وأنا أُعطيكَ مفاتيحَ ملكوت السموات» ...

القديس بولس الرسول ، يلهم الذهبي الفم تفسير رسائله

أرأيت كيف أنّ الربّ يقود بطرس إلى مفهوم سام حول شخصه ، شخص المسيح ، كيف أنه يكشف عن نفسه ، ويُظهر عن طريق الوعدَيْن **أنّه ابن اللّه ؟** لأنّ هذين الوعدين مختصّان باللّه فقط: ان يغفر الخطايا وأن يجعل الكنيسة غيرَ متزعزعة وسط مثل هذه الأمواج الجارفة ويجعل إنساناً صيّاداً أقوى من الصخرة في اللحظة التي فيها يحارَب من المسكونة كلّها. هكذا تكلّم اللّه مع أرميا قائلاً: «فإنّي هاءنذا قد جعلتك اليوم مدينةً حصينة وعموداً من حديد وأسواراً من نحاس على كلّ الأرض ...» (أرميا١:١٨). هذا كان على أمّة معيّنة . أمّا الرسول فقد أعطاه سلطاناً على المسكونة كلّها.

وأودّ أن أسأل هنا **أولئك الذين يقلّلون من شأن الابن** قائلاً: «ترى ما هي العطيّة الأعظم ؟ ما أعطاه الآب لبطرس أو ما أعطاه الابن ؟» . إنّ الآب أعطى بطرس أن يعرف الابن. إنّما الابن **بهدف نشر إعلان الآب والإعلان عن نفسه** أعطى سُلطَةَ الأمور السماويّة كلّها إلى إنسان مائت أعطاه مفاتيحَ ملكوت السموات ، وهكذا بسط الكنيسة إلى المسكونة كلّها وجعلها أقوى من السماء لأنّه يقول: «السماء والأرض تزولان ولكن كلامي لا يزول» (متى٢٤:٣٥). كيف تعتبرون ذاك الذي أعطى مثل هذه العطايا وحقّق مثل هذه الأعمال ، كيف تعتبرونه أقلّ شأناً من الآب ؟ هذا لا لأفصل بين أعمال الآب والابن لأنّ «كلّ شيء به كان وبغيره لم يكن شيء ممّا كان» (يو١:٣). لكن قلت هذا لكي أسدَّ فمَ اللسان الغاشّ الذي تجاسر على مثل هذا الادّعاء.

## الحيوانات الأربعة

يستوحي القدّيس يوحنا اللاهوتي في سفر الرؤيا الفصل الأوّل من سفر حزقيّال فيكتب ما يلي: «في وسط العرش وحول العرش أربعة حيوانات رُصِّعت بالعيون من قدام ومن خلف» (رؤيا ٤:٦).

«فالحيوان الأوّل أشبه بالأسد، والحيوان الثاني أشبه بالعجل، والحيوان الثالث له وجه كوجه الإنسان، والحيوان الرابع أشبه بالعقاب الطائر». على هذه الحيوانات الأربعة يقوم عرش اللّه.

بحسب القدّيس إيرونيموس، يرمز الأسد إلى قيامة الربّ يسوع، والنسر إلى صعوده إلى السماء، والإنسان إلى تجسُّده، والثور إلى آلامه. وترمز أيضاً، تارة إلى الأرواح السماويَّة (Pseudo-Denys)، وطوراً إلى الإنجيليِّين الأربعة (القدّيس إيرونيموس والمغبوط: أغوسطينوس).

فالثور يرمز إلى إنجيل القدّيس لوقا الذي يبدأ إنجيله في الهيكل حيث تُقدَّم ذبائح الثيران، والأسد إلى القدّيس مرقس الذي يبدأ إنجيله في الصحراء، والإنسان إلى متّى الذي يبدأ إنجيله بنسب يسوع، والنسر إلى يوحنا في رؤياه.

والنسر يرمز إلى إنجيل القدّيس يوحنّا وإلى تجديد الشباب (مز١٠٢:٤)، والاهتمام بالذريَّة (تثنية ٣٢:١١)، والسرعة في الطيران (إرميا ٤٨:٤٠)، وقوّة النظر الذي يحدِّق بالشمس.

**هذا الصليب الكريم المحيي من التحف القيّمة في دير قاتوبيذي في جبل آثوس ، وبأطرافه رموز الإنجيليين الأربعة .**

# القدّيس يوحنا المعمدان، السابق الأوّل لمجيء المسيح في التقليد الليتورجي الأرثوذكسي

## ١) مقدمة:

يوحنا المعمدان هو آخر الأنبياء وأول الرسل، وهو موضع تكريم خاص في الكنيسة الأرثوذكسية كنبيٍ، وكمعمِّد وكسابق، ويشغل المكان الأول بعد والدة الإله في اجتماع القدّيسين. ولهذا السبب نرى السابق ووالدة الإله يحيطان بالرب يسوع في إيقونة الشفاعة. وفي تحضير القربان المقدّس، يُذكر القدّيس يوحنا المعمدان بعد والدة الإله، وأيضاً مع القدّيسين في آخر الإستحالة. والأمر كذلك لأن الرب يسوع المسيح شهد بأن يوحنا المعمدان هو «أعظم مواليد النساء» (متى١١ :١١).

على ذلك يكون تكريم السابق، في الليتورجية الأرثوذكسية، في خط تكريم والدة الإله. وهذا الأخير في خط تكريم السيّد. في هذا السياق نعرض لتكريم السابق في التقليد الليتورجي البيزنطي (الرومي) الذي ما زال التعبير الأفضل للاهوت الكنيسة الأرثوذكسية.

## ٢) تذكار السابق في الليتورجية:

يُذكر يوحنا المعمدان ست مرات في الدورة الليتورجية السنوية في الكنيسة الأرثوذكسية:

الحبل به (٢٣أيلول)، مولده (٢٤حزيران)، قطع رأسه (٢٩آب)، أول وثاني ظهور لهامته (٢٤شباط)، ثالث ظهور لهامته (٢٥أيار) بالإضافة إلى عيدٍ جامع له (٧كانون الثاني).

## ٣) دورة السابق:

عيد مولد السابق يسبق بستة أشهر عيد ميلاد الرب يسوع المسيح، لأن الإنجيلي لوقا يحدِّد أن بشارة والدة الإله حصلت عندما كانت نسيبة مريم، أي أليصابات، حبلى في شهرها السادس (لو١:٢٦). في روما حُدِّد ميلاد السيّد المسيح في ٢٥ كانون الأول ليحلَّ محل العيد الوثني لإنقلاب الشتاء (عبادة إله الشمس). عليه عُيّن عيد ميلاد يوحنا المعمدان في ٢٤حزيران وهو يوم انقلاب الصيف. هذا التاريخ الذي يبدأ طول النهار فيه بالنقصان هو الأفضل لتذكار سابق المسيح، بحسب إنجيل يوحنا، إذ قال السابق عن نفسه: «ينبغي أنّ ذلك يزيد ﴿المسيح﴾ وأنّي أنا أنقص» (يو ٣ : ٣٠). هذه العلاقة الوثيقة بين العيدَين السيديَّين للبشارة وميلاد المسيح من جهة وعيدَي الحبل بالسابق وميلاده من جهة أخرى أُبرزت سابقاً في «الحوليّة الفصحية » (Chronique Pascale) على عهد الأمبراطور هيراكليوس (٦٣٠). عيد الحبل بالصابغ، الذي يسبق بتسعة أشهر ميلاده، قُدّم إلى ٢٣أيلول، لتنصير الإحتفال بالأمبراطور أغسطينوس، الذي كان يشير قديماً إلى بداية السنة المدنية ولاحقاً إلى السنة الكنسية. ومع هذا العيد دخلت القراءة الدورية لإنجيل لوقا في الليتورجية البيزنطية الروميّة الذي وحده يروي قصة الحبل بيوحنا المعمدان وولادته. عيد قطع رأس يوحنا المعمدان الذي هو ذكرى استشهاده حُدّد في ٢٩ آب وورد عنه في الأناجيل الثلاثة الإزائية (مت١٤ :١–١٢ ؛ مر٦:١٧–٢٩ ؛ لو٣ :١ – ٢٠). هذا التاريخ ذو صلّة بتكريس كنيسة شيّدت في سبسطيا (السامرية) لتحوي رفات القدّيس، على عهد **الأمبراطور قسطنطين**. تجدر الملاحظة هنا إلى أن عيدي الحبل بالسابق (٢٣أيلول) وقطع رأسه (٢٩آب) يمتدّان في السنة الليتورجية البيزنطية الروميّة بين أيلول وآب، تماماً كعيدي والدة الإله التي ميلادها في ٨ أيلول ورقادها في ١٥ آب.

## ٤) أعياد تكريم رفات السابق:

تكريم رفات السابق كان السبب في إدخال عيد العثور الأول والثاني لهامة السابق في ٢٤شباط وعيد العثور الثالث لهامته في ٢٥أيار إلى الليتورجية البيزنطية الروميّة بالإضافة إلى العيد الجامع للسابق في ٧ كانون الثاني.

هذا ويُستفاد من التقليد أن قبر يوحنا المعمدان كان، في القرن الرابع، في السامرة، موضع إكرام المؤمنين. ثم **دكّه يوليانوس الجاحد وبعثر عظامه**. لكن بعض المسيحيين تمكّنوا من إنقاذ ما أمكن وأتوا به إلى أورشليم ودفعوه إلى رئيس أحد الديورة واسمه فيليبوس الذي نقل الرفات إلى القدّيس أثناسيوس الإسكندري. غير أن الحج إلى المدفن في سبسطيا استمر بضعة قرون. وثمة تقليد وصل إلى السلافيين يفيد أن حنة، امرأة خوزي، وكيل هيرودوس، التي أمست إحدى حاملات الطيب (لو٢٤:١٠)، كشفت عن رأس السابق المجيد الذي كان مدفوناً في موضع غير لائق، وأخذته سراً إلى أورشليم، إلى جبل الزيتون، حيث وجده فيما بعد رجل من النبلاء صار راهباً.

بعد ذلك بزمن وصل إلى فلسطين راهبان من المشرق بقصد السجود للأماكن المقدّسة. فظهر لهما السابق في حلم الليل، كُلاً على حدة، وقال لهما:«توجها إلى قصر هيرودوس فتجدان هامتي تحت الأرض». وإذ قادتهما النعمة الإلهية سهُل عليهما نبش الرأس فشكرا اللّه وعادا بالهامة من حيث أتيا. في الطريق التقيا فخّارياً

من أصل حمصي، كان بائساً وترك موطنه سعياً وراء الرزق. هذا، يبدو أن السابق ظهر له في الحلم. وعلى الأثر خطف الهامة وعاد إلى حمص. هناك تيسّرت أموره ببركة السابق. ولما كان مشرفاً على الموت، جعل الرأس في صندوق وسلّمه إلى شقيقة له، طالباً منها ألا تفتحه إلا بأمر المودع فيه، وان تسلّمه، متى أتت الساعة، إلى رجل تقي يخاف اللّه. على هذا النحو انتقلت هامة السابق من شخص لآخر إلى ان وصلت ليد كاهن راهب، اسمه **أفسطاتيوس**، اتخذ لنفسه منسكاً في مغارة غير بعيدة عن مدينة حمص. عيب هذا الراهب كان انه اعتنق **الآريوسية**. فلما حضّه الغرور على إثبات نفسه، ادّعى أن الأشفية التي كانت تجري بوفرة بوساطة هامة السابق هي منه هو. ولم يمضِ وقت طويل على **أفسطاتيوس** حتى بانت هرطقته وسيئاته فطُرِدَ من ذلك الموضع. أما رأس السابق فبقي موارياً في المغارة إلى زمن لاحق حدث فيه ان كان المدعو مركلّوس، وهو راهب تقي، رئيساً لدير بقرب تلك المغارة، في زمن الأمبراطور مرقيانوس (٤٥٠–٤٥٧م)، وأسقفية أورانيوس على كنيسة حمص. في ذلك الزمان، ظهر السابق المجيد لمركلّوس عدّة مرّات وأحبّه وقدّم له إناء من العسل. ثم بعد ذلك قاده إلى زاوية في المغارة. هناك بخّر مركلّوس وباشر بالحفر فبان له الرأس، تحت بلاطة من المرمر، في جرّة. وإن أسقف المحلّة نقله إلى الكنيسة الأساسية في حمص فأضحى للمدينة برمتها نبع بركات وخيرات فيّاضة. هذا دام إلى زمان الأمبراطور ميخائيل الثالث (٨٤٢–٨٦٧) وبطريرك القسطنطينية القدّيس أغناطيوس حين تمّ نقله إلى المدينة المتملّكة (القسطنطينيّة). نَقلُ الهامة الذي جرى يومذاك كان في أساس عيد العثور الأول والثاني لهامة السابق في ٢٤ شباط .

قطع رأس السابق

فُقدت الهامة ، مرّة أخرى، في حدود العام ٨٢٠م، ربما خشية وقوعها بين أيدي المسلمين. وقد قيل إنها نُقلت إلى كومانا التي سبق أن جرى نفي الذهبي الفم إليها. الوقت، يومذاك، كان وقت الطعن بالإيقونات المقدّسة، وما يمتّ إليها بصلة. هناك، في الأرض، في مكان ما، جرت مواراتها. فلما استُعيد إكرام الإيقونات، مرّة أخرى، حدث، فيما كان القدّيس البطريرك أغناطيوس القسطنطيني قائماً في صلاة الليل، أن عاين، في رؤية، الموضع الذي كانت فيه هامة السابق المجيد مخبّأة. فنقل الخبر إلى الأمبراطور ميخائيل الثالث وأمه ثيودورة. فأوفد الأمبراطور بعثة إلى كومانا لتستطلع الأمر. وبالفعل جرى الكشف عن هامة السابق في المكان المعيَّن. كان ذلك في حدود العام ٨٥٠م . على الأثر جرى نقلها إلى القسطنطينية حيث أُودعت إحدى كنائس القصر الملكي وصار يُحتفل بوجودها الثالث في ٢٥أيار من كل عام. أما العيد الجامع للسابق في ٧ كانون الثاني، اليوم التالي لعيد الظهور الإلهي، فقد ثَبُت إثر نقل يد السابق اليمنى من أنطاكية إلى القسطنطينية في عهد الأمبراطورَين قسطنطين السابع البرفيري ورومانوس الثاني ليكابينوس، اليد التي نقلها من أورشليم القدّيس لوقا الإنجيلي.

هامة السابق التي كان يُحتفظ بها في دير القدّيس جاورجيوس في القسطنطينية، **سطا** عليها **الصليبيون** أثناء حملتهم على القسطنطينية عام ١٢٠٤م وهي الآن ضمن كنوز كاتدرائية أميان في فرنسا. أما يده اليمنى فهي مكرّمة اليوم في دير ديونيسيو في جبل آثوس، فيما بيده اليسرى محفوظة في متحف توبكابي في اسطنبول، وهو القصر القديم الذي كان للسلاطين.

### ٥) السابق في المعزي:

في الدورة الليتورجية الأسبوعية، تحتفل الكنيسة الأرثوذكسية بالسابق كل يوم ثلاثاء. يحتوي المعزي على خدمة للسابق خلال غروب الإثنين مساءً وسحر الثلاثاء في كل لحن من الألحان الثمانية. كتب الناظمان الموسيقيان الستوديتيان يوسف وثيودوروس الموسوم متروبوليت نيصص، قطَع القانون في كلٍّ من الألحان في القرن التاسع. نعرف أن الكنيسة الرئيسية في دير الستوديون كانت مكرّسة للسابق، ولوقت طويل كانت تحتوي على هامة السابق. عليه كان السابق يحظى بتكريم خاص من قبل رهبان الستوديون، تشهد لذلك الترجمة السلافية لتيبيكون ألكسيوس الستوديتي. في هذا التيبيكون يُطلب ترتيل طروبارية القدّيس يوحنا المعمدان في غروب أحد الفريسي والعشّار، وأحد الإبن الشاطر، وكل عيد كبير واقع يوم الأحد. لهذه الميزّة الأخيرة صلّة بإحتفالات كبيرة في كل أعياد السابق: فقطع رأس السابق في ٢٩ آب كان له خدمة ما قبل العيد وخدمة لبعد العيد، وأحد قبل قطع رأس السابق؛ أما ميلاد يوحنا المعمدان في ٢٤ حزيران فكانت تسبقه خدمة ما قبل العيد وتليه خدمة ما بعد العيد (الخدمة السابقة للعيد تقع في ذكرى تكرّيس الكنيسة ليوحنا السابق)؛ وفي عيد العثور على هامة السابق يُقرأ إنجيل سحر؛ وفي عيده الجامع في ٧ كانون الثاني يُحتفل بنقل يده من أنطاكية إلى القسطنطينية عام ٩٥٦.

### ٦) لاهوت الخدم الليتورجية الموضوعة لتكريم السابق:

بالنظر في النصوص الليتورجية التي كُتبت تكريماً لأعياد يوحنا المعمدان، نستطيع أن يتبيّن معالم صورة السابق في اللاهوت الأرثوذكسي. هنا نعرض تفصيلاً لبعض العبارات المختارة من النظم الموسيقي البيزنطي الرومي لهذه الأعياد.

#### أ) ملاك المسيح:

يتكلم النظم الموسيقي البيزنطي الرومي عن السابق باعتباره «ملاك المسيح» أو «ملاك الرب». هاتان العبارتان متشابهتان وهما مأخوذتان من اليونانية (αγγελος) التي تعني ملاكاً ورسولاً، وتذكرنا بنبوءة ملاخيا النبي، الواردة أيضاً في إنجيل متى، حيث يؤكد السيّد: «ها أنا أُرسل أمام وجهك ملاكي الذي يهيّئ طريقك قدّامك» (مل٣: ١؛ متى ١١: ١٠)، وهو قالها مشيراً إلى يوحنا المعمدان. هذه النبوءة التي فسّرها المسيح ألهمت ناظمي القطع الموسيقية في

الخدم الليتورجية المخصّصة للسابق، وراسمي الإيقونات، الذين صوّروا القدّيس يوحنا المعمدان وله جناحان.

وقد علّق: «ل. أوسبونسكي و ڤ. لوسكي» (L. Ouspensky & V. Lossky) على هذه الصورة التي تعبّر لا فقط عن وظيفة السابق كمرسَل ليعدّ طريق الرب، بل أيضاً عن كونه نموذجاً للحياة النسكية.

القدّيس جرمانوس القسطنطيني يسأل في نشيده المرتلّ في خدمة ٢٩ آب: «ماذا ندعوك أيها النبي؟ أملاكاً؟ أم رسولاً؟ أم شهيداً؟ فملاكاً لأنك عشت كمن لا جسم له. ورسولاً لأنك تلمذت الأمم، وشهيداً لأن هامتك قد قُطعت من أجل المسيح. فإليه ابتهل أن يرحم نفوسنا.» (أول قطعة من الليتين).

عاش السابق في البرّية يغتذي من الجرّاد والعسل البري (مت٣:١ –٤). عاش كـ «ملاك أرضي وإنسان سماوي» (ذكصا الليتين، غروب ٢٤حزيران). وقد أصبح بذلك نموذجاً للحياة الرهبانية. قال فيه القدّيس صفرونيوس الأورشليمي مادحاً: «لقد افتتح يوحنا المعمدان للبشر إمكانية العيش كالملائكة في الجسد، في البتولية، والنسك، والتأمل». لذلك ليس من المستغرب أن يكون ناظم الموسيقى البيزنطية الروميّة قد مدح أنطونيوس الكبير، «أب الرهبان»، بـ «أنه ماثل ايليا الغيّور في أحواله، وتبع المعمدان في مناهجه القويمة» (طروبارية القدّيس أنطونيوس الكبير ١٤كانون الثاني).

وأيضاً في النظم الموسيقي عنه أنه «الملاك الكارز في الأقطار برسول الرأي العظيم» (المعزي، اللحن الأول، سحر الثلاثاء، الأودية الثامنة، قانون السابق). رسول الرأي العظيم هو الإسم المسيحاني الذي أعطاه أشعياء النبي لعمانوئيل، اللّه معنا، أي المسيح (اش٩:٦ الترجمة السبعينية). الأول هو الملاك المبشِّر بالملاك الثاني. في هذه العبارة نجد تفسيراً للعبارة «ملاك المسيح».

### ب) إيليا الجديد:

النصوص الليتورجية تظهر لنا السابق كـ «إيليا جديد» (قانون ٧ كانون الثاني التابع لخدمة الظهور الإلهي، الأودية السابعة). في الواقع، كان الشعب العبري ينتظر عودة إيليا قبل مجيء المسيح، بحسب نبوءة ملاخي: «ها أنذا أرسل إليكم إيليا النبي قبل مجيء يوم الرب، اليوم العظيم المخوف». (ملاخي ٣:٢٣).

هذا ما يفسِّر أن البعض، بحسب الرسل، اعتقد أن المسيح هو إيليا (مت١٦:١٤، مر ٦:١٥،٨:٢٨ ؛ لو٩:٨–١٩). بهذا المعنى، وجود إيليا إلى جانب الرب يسوع في التجلي الإلهي له دلالته. من ناحية أخرى، غالباً، عرّف أباء الكنيسة شاهدي الدينونة اللذين سوف يعودان إلى الأرض لإعلان المجيء الثاني للرب يسوع المسيح باعتبارهما إيليا وأخنوخ (رؤ١١:٣–١٠).

هذا يعطينا أن نفهم أن الملاك الذي بشّر بالحبل بالسابق قال بالتحديد أن هذا الأخير سوف يتقدّم المسيح «بروح إيليا وقوته» (لو١:١٧). في إنجيل متى، يقول لنا المسيح عن يوحنا المعمدان إن «هذا هو إيليا المزمع أن يأتي» (مت١١:١٤)، وأيضاً «إن إيليا قد عاد» (مت١٧:١٠–١٢). كذلك اتّبع ناظمو الألحان التفسير الذي أعطاه الرب يسوع المسيح في إنجيل متى.

صورة إيليا، على غرار صورة الملاك، ساهمت في جعل السابق نموذجاً للحياة الرهبانية التي هي قبل كل شيء حياة توبة.

### جـ) الكارز بالتوبة:

ناظمو الألحان أشاروا أيضاً إلى أن السابق هو الكارز بالتوبة (قنداق ٢٤شباط؛ الطروبارية الثانية من الكاثسما بعد الأودية الثالثة في خدمة ٢٥أيار؛ والقانون الثاني لسحر ٢٤حزيران للقدّيس أندراوس الكريتي، الأودية الرابعة: الطروبارية الأولى، والأودية الخامسة: الطروبارية الرابعة؛ والغروب الكبير لخدمة ٢٩ آب ، الإيذيومالا الأولى من الأبوستيخن؛ وفي مواضع عدة من المعزي). يستندون في ذلك إلى إنجيل متى حيث يقول إن السابق يكرز في بريّة اليهودية، قائلاً: «توبوا لأنه قد اقترب ملكوت السموات» (مت٣:٢). هنا يظهر يوحنا المعمدان فعلاً كسابق للمخلّص الذي بدأ كرازته بالكلام عينه (مت٤:١٧).

وفي موضع آخر، يروي الإنجيلي متى عن كرزاة يوحنا المعمدان بالتوبة: «الآن قد وُضعت الفأس على أصل الشجرة. فكل شجرة لا تصنع ثمراً جيّداً تُقطع وتُلقى في النار». (مت٣:١٠).

بكلمات الدينونة هذه، يعلن السابق قرب دينونة العالم (يوحنا ١٢:٣١). هذه الأقوال للسابق ألهمت كاتبي الإيقونات رسم فأس موضوعة على شجرة في بعض إيقونات يوحنا المعمدان. وهذه الأقوال عينها سيكرّرها المسيح (مت٧:١٩).

هذا الحدث يشهد مرة أخرى للعلاقة الوثيقة التي تجمع خدمة السابق الرسولية والتدبير الإلهي. وقد علّق عليه الأب سرجيوس بولكاكوف، وهو لاهوتي روسي كبير من القرن العشرين، في أحد الكتب القليلة المكرّسة لشخصية السابق في الكنيسة الأرثوذكسية: «الحياة والكرازة، في أعمال السابق، تدخلان في تدبير سيدنا يسوع المسيح كتمهيد له، وكجزء منه لا يتجزأ ولا ينفصل، كما دخلت حياة والدة الإله ولكن على نحو خاص مختلف».

### د) مصباح (سراج) النور:

ناظمو الموسيقى البيزنطية الروميّة غالباً ما يتحدثون عن السابق باعتباره «مصباح الشمس» و«مصباح النور» و«مصباح المسيح» و«مصباح الرب (السيّد)» (طروبارية ٢٤أيلول؛ قانون ٢٤أيلول للقدّيس يوحنا الدمشقي: في الأودية الثالثة والسادسة؛ قانون ٢٤حزيران للقدّيس يوحنا الدمشقي: الأودية الخامسة؛ قانون ٢٤حزيران للقدّيس أندراوس الكريتي: الأودية الخامسة والسادسة؛ قانون ٢٩آب للقدّيس يوحنا الدمشقي: الأودية السابعة؛ قانون ٢٩آب للقدّيس أندراوس الكريتي: الأودية التاسعة؛ وفي مواضع أخرى من أعياد ٧كانون الثاني و ٢٥أيار والألحان الثمانية من المعزي في يوم الثلاثاء المخصّص للسابق). يعتبرونه أيضاً «الكارز بالنور» (المعزي، اللحن الثامن، سحر الثلاثاء، الطروبارية الثانية من الأودية السابعة التابعة للسابق). كل هذه العبارات تتشابه في قولها إن المسيح السيّد هو الشمس والنور. وتشبيه المسيح بـ «شمس العدل» المرتلة في الموسيقة البيزنطية الروميّة في عيد ميلاد المسيح، أُخذت من النبوءة المسيحانية لملاخي النبي ٤:٢ الذي يعلن أنه سوف «تشرق شمس البر والشفاء في أجنحتها».

في الإنجيل اليوحنائي، يُظهر المسيح نفسَه باعتباره «نور العالم» (يو٨:١٢) و«النور الحقيقي» (يو١:٩). ويُحدّد يوحنا الإنجيلي أن يوحنا المعمدان كسابق جاء لـ «يشهد للنور» (يو١:٧)، ويوضح في مقدّمته: «لم يكن هو النور بل ليشهد للنور» (يو١:٨).

اللاهوت اليوحنائي ألهم ناظمي الموسيقى البيزنطية الروميّة عن السابق أنه مصباح النور، فبقوا أمناء للاهوته. والواقع أن، المسيح نفسه يقول عن يوحنا المعمدان في (يو٥:٣٥) أنه «هو السراج الموقد المنير».

موضوع «المصباح» و«الشمس» قديم، إذ إنه كما ذكرنا آنفاً، دفع الكنيسة في روما لتحديد عيد ميلاد المسيح في ٢٥كانون الأول، إبتداء من القرن الرابع، حالاً محلّ عيد عبادة الشمس المحدد في يوم انقلاب الشتاء. منذ ذلك الحين، عُيّن عيد ميلاد السابق في ٢٤حزيران، لا فقط لأنه يكبره بستة أشهر، بل لأن هذا اليوم يقع فيه انقلاب الصيف، الذي يبدأ بعده النهار في الإنتقاص. وقد أخذت الكنيسة في الإعتبار، مرة أخرى، شهادة المعمدان، المذكورة في إنجيل يوحنا: «ينبغي أن ذلك يزيد وأني أنا أنقص» (يو٣:٣٠).

### هـ) صوت الكلمة:

تكلّم ناظمو الألحان البيزنطية الروميّة عن السابق باعتباره «صوت أو بوق الكلمة» (غروب ٢٤حزيران القطعة الأولى على «يا ربي إليك صرخت» للقدّيس أندراوس الكريتي، وذكصا اللتين، بالإضافة إلى الإيذيومالا الثانية من الأبوستيخن؛ قانون ٢٩آب للقدّيس أندراوس الكريتي، الأودية التاسعة القطعة الثالثة؛ قانون ٢٥أيار، الأودية الأولى، القطعة الأولى؛ ومواضع مختلفة من المعزي على الألحان الثمانية في يوم الثلاثاء المخصّص للسابق). هنا لعبوا على مدلول الكلمة ليظهروا من جديد علاقة السابق بالمسيح، المُشار إليه في مدخل الإنجيل الرابع باعتباره «كلمة اللّه» (يو١:١). وفي الإنجيل عينه، السابق هو «الصوت الصارخ في البرّية قَوّموا طريق الرب»، في ترداد لما ذُكر قديماً في نبوءة إشعياء النبي (إش ٤٠:٣؛ يو١:٢٣).

هذه التسمية ذات الأصل اليوحنائي تُظهر أن يوحنا المعمدان بما أنه دعي ليكون صوت الكلمة، فقد حُلّ رباط لسان أبيه الذي عُقد لقلّة إيمانه (لو١:٦٤)، كما وضع السابق حداً لظلمة وظلال العهد القديم وهيّأ لمجيء العهد الجديد.

### و) صديق العريس:

لقد قدّم ناظمو الألحان البيزنطية الروميّة السابق باعتباره «صديق العريس» (قانون ٢٣أيلول للقدّيس يوحنا الدمشقي: الأودية الثامنة، الطروبارية الأولى؛ غروب ٢٤حزيران، قطع المساء على «يا ربي إليك صرخت»: القطعة السابعة؛ المعزي: اللحن الأول، قانون السابق، سحر الثلاثاء، الأودية التاسعة، الطروبارية الثانية). وقد استوحى الأب سرجيوس بولكاكوف عنوان كتابه المكرّس للسابق من هذه العبارة المنقولة من إنجيل يوحنا حيث يقول يوحنا المعمدان: «أنتم أنفسكم تشهدون لي أني قلت لست أنا المسيح، بل أني مُرسل أمامه. من له العروس فهو العريس. أما صديق العريس الذي يقف ويسمعه فإنه يفرح فرحاً من أجل صوت العريس. إذاً فرحي هذا قد كمل» (يو٣:٢٨-٢٩).

هذا النص يذكرنا بعرس المسيح ـ العريس والكنيسة ـ العروس، المصوّر في نشيد الأناشيد، والمرتل في المزمور ٤٤ ، ويشير إليه الرسول بولس في رسالته إلى أفسس (أف٥:٣٢) كما يتكلّم عنه القدّيس يوحنا في الرؤيا (رؤ١٩:٧-٩). موضوع العرس لم يكن عرضي في الإنجيل الرابع، إذ في عرس قانا أعطى الرب يسوع آيته الأولى وأظهر مجده فآمن به تلاميذه (يو٢:١١).

الأب سرجيوس بولكاكوف رأى في هذا النص أيضاً، إشارة إلى «نشيد السابق»، وهو ثالث وآخر شهادة ليوحنا المعمدان (الأولى في يو ١:١٥ والثانية ١:٢٧-٢٩)، وقد قال فيه:

«ليس هذا نشيد الأناشيد عن حب العروس لعريسها، بل هو نشيد صديقه. لا يوجد فيه تواضع ينتقص، بل تواضع منتصر بفرح الظفر، إنه ظفر السابق».

يفسّر الأب سرجيوس بولكاكوف أن صديق العريس هو أقرب شخص للعريس، وهو الذي وضع فيه هذا الأخير كل ثقته. إنه صديق العريس الذي يفتش ويجد عروسه ويحضرها ويقدمها للعريس. هكذا، يظهر السابق في الإنجيل الرابع باعتباره الصديق الحميم للمخلّص، الذي يجهز البشرية لقبول الخلاص ويقدّمها للمخلّص. عليه تكون الكنيسة قد قُدّمت عروساً للمسيح ـ العريس بواسطة دور (كرازة) السابق.

### ٧) الخاتمة:

هذه القراءة السريعة للنظم الموسيقي البيزنطي الرومي في أعياد السابق أتاحت لنا الفرصة أن نلاحظ الموقع المهم الذي يحتلّه «أعظم مواليد النساء» في التقليد الليتورجي للكنيسة الأرثوذكسية. لقد جعلنا نقدِّر القرابة القائمة بين النظم الموسيقي والنصوص الإنجيلية، التي استقى منها بوفرة آباء النظم الموسيقي وكل التقليد الذي اتبّعوه. ولا عجب إذاً أن يكون السابق ورفاته موضوع إكرام حار في بيزنطية وكل البلدان المسيحية ذات التقليد البيزنطي الرومي القويم الرأي.

## في الوصايا والحِكَم

تَمَسَّك بالتُّقَى حَتَّى تَمُوتَا ... ولاَ تَدَع الكَلاَمَ ولاَ السُّكُوتَا

فَقُلْ حَسَناً وَامْسِكْ عَنْ قَبيحٍ ... وَلاَ تَنْفَكَّ عَنْ سُوءِ صَمُوتَا

# خطيئة آدم وافتداء المسيح لنا

## للقديس سمعان اللاهوتي الحديث

١) مما تكوّنت خطيئة آدم؟

٢) كيف صار كل الناس، بسبب خطيئته، قابلين للفساد والموت؟

٣) كيف حرّر الإله المحب البشر الجنس البشري من الفساد والموت بواسطة تدبير التجسد؟

٤) ممّا يتكوّن سر ودفن ربنا وإلهنا ومخلصنا يسوع المسيح؟

### ١) مما تكوّنت خطيئة آدم؟

آدم أول الخليقة، كونه كان في الفردوس، سقط في الغرور بخديعة الحية. ولأنه حلم بأن يكون إلهاً على ما أخبره الشرير، تذوّق الشجرة التي منها أمره الرب بالاّ يأكل. لهذا سُلّم إلى تأديبات عظيمة: **الفساد والموت وتذليل زهوه**. لكن يعطَ حُكماً عندما يدين الرب لسبب ما، وحكمه صار الأعمال والعقاب للأبد، ولم يعد هناك أي إمكانية لإبطال هذا الحكم الصادر عن قضاء اللّه.

لكن افتكروا الآن: أخطأ آدم خطيئة كبيرة إذ لم يؤمن بكلمات اللّه، لكنه صدّق أقوال الحية. قارنوا اللّه بالحية، وسوف ترون كم هي عظيمة خطيئة آدم الحكيم. في حكمته العظيمة أعطى أسماء لكل الحيوانات (تكوين٢:١٩–٢٠). ولكن بكل وقاحه صدّق الحية وليس اللّه، فتخلت عنه النعمة الإلهية التي كانت قد استراحت عليه. ظن آدم أن اللّه يحسده وأنه لا يرغب له بأن يعرف الخير والشر، وافتكر أن اللّه أوصاه بعدم تذوق ثمرة شجرة معرفة الخير والشر حتى لا يصبح هو بدوره إلهاً مثل اللّه الذي خلقه. فتذوّق، وعرف مباشرة عريه، وبدل أن يصبح إلهاً أصبح قابلاً للفساد، وكفاسد صار قابلاً للموت.

### ٢) كيف صار كل الناس ، بسبب خطيئته، قابلين للفساد والموت؟

ولاحظوا كما ترون، حُكم اللّه يبقى إلى الأبد كعقاب أبدي. وكلنا نحن البشر أصبحنا قابلين للفساد والموت، وليس هناك ما يزيح هذا الحكم العظيم المرعب. وإذ ليس هناك إمكانية لرفع هذا الحكم، فما هي الفائدة في الحكمة أو الثروة أو السلطة أو حتى في العالم كله؟ لهذا السبب، ابن اللّه ذو القدرة الكليّة، الرب يسوع المسيح، واضَعَ نفسه في مكان آدم. وبالحقيقة قد واضَعَ نفسه حتى إلى موت الصليب. كلمة الصليب، كما يقول الكتاب المقدّس، هي «ملعون كلّ مَن عُلّق على خشبة» (غل ٣:١٣).

أخذ آدم من ثمرة الشجرة بدون أن يكون محتاجًا لها، وهي الشجرة التي أوصاه اللّه بألاّ يذوقها، منذراً إياه بأن يموت إذا تذوقها. لقد تذوّق ومات. علينا أن نعرف بما أنّ للإنسان جسد ونفس، فعنده موتان: موت النفس وموت الجسد. وعلى المنوال نفسه، هناك أيضًا بقاءان: بقاء النفس وبقاء الجسد، بالرغم من أنهما في إنسان واحد، لأن النفس والجسد هما إنسان واحد.

وهكذا، آدم مات بالروح مباشرة ما أن تذوّق. ولاحقًا، بعد تسعمئة وثلاثين سنة مات بالجسد. فكما أنّ موت الجسد هو افتراق النفس عنه، كذلك موت النفس هو افتراقها عن الروح القدس الذي به خلق اللّه الإنسان وسرّ بأن يظلله حتى يعيش كالملائكة مستنيراً دائماً بالروح القدس ويبقى صامدًا في وجه الشر.

لاحقاً، لهذا السبب، صار كل الجنس البشري قابلاً للموت في الجسد والنفس، تمامًا كما صار آدم الأب الأوّل. لم يعد الإنسان كما خلقه اللّه. ولم يعد هناك أي إمكانية لأن يصبح أيّ مخلوق كما كان آدم قبل عصيانه الوصية. لكنه كان ضرورياً أن يوجد إنسان مثل هذا.

### ٣) كيف حرّر الإله المحب البشر الجنس البشري من الفساد والموت بواسطة تدبير التجسد؟

وهكذا اللّه، رغبةً منه في أن يكون الإنسان مثل آدم عند خلقه في البدء، أرسل إلى الأرض في الزمان الأخير ابنه الوحيد. فأتى وتجسّد وقبل بشرية كاملة، حتى يكون إلهًا كاملاً وإنسانًا كاملاً، وهكذا يكون للألوهة إنسان مستحق لها.

وانظروا إلى هذا الإنسان! لم يكن ولا يوجد اليوم ولن يكون مثله. ولكن لماذا صار المسيح هذا الإنسان؟ لكي يحفظ الشريعة والوصايا، وهكذا ليدخل في معركة مع الشرير ويغلبه. كلاهما، الإنسان والإله كانا فيه. إذ لو كان المسيح الإله فقط، أي الذي أعطى الوصايا والشريعة، فكيف له ألاّ يحفظ ما أعطاه بنفسه؟ وإذا كان هو اللّه، كما هو بالحقيقة، فكيف يمكن له أن يُخدَع أو يُضلّل بتحايل الشيطان؟ فالشيطان على الأكيد، كونه أعمى وأحمقًا، قام مصارعًا المسيح. لكن هذا كان حتى يتمّ سر عظيم مهيب، أي حتى أنّ المسيح البريء من الخطأ يتألّم، وعبر هذا الألم يحصل آدم الذي أخطأ على الغفران. لهذا أيضًا كان الصليب بدل شجرة المعرفة، وبدل حركة قدمي الجدّين الأولين نحو الشجرة المحرّمة، وبدل مدهما ليديهما لأخذ ثمرة الشجرة، علّقت يدا ورجلا المسيح البريء، وبدل تذوّق الثمرة، كان طعم المرّ والخل، وبدل موت آدم كان موت المسيح.

ثم ماذا جرى؟ رقد المسيح في القبر لثلاثة أيام، من أجل سرّ الثالوث الأقدس، ولكي يُظهر أنّ التدبير هو عمل الثالوث كله حتى ولو كان الوحيد الذي تجسّد وتألّم.

وممّا يتكوّن هذا التدبير؟ أحد أقانيم الثالوث القدّوس، أي إبن اللّه وكلمته، في تجسده قدّم نفسه بالجسد كضحية لألوهة اللّه وألوهة الابن وألوهة الروح القدس، حتى يُغفّر عصيان آدم الأول خيرياً بسبب هذا العمل العظيم المهيب أي بسبب الضحية المسيح ولكي تتمّ بقوتها ولادة جديدة وإعادة خلق للإنسان بالمعمودية حيث نتطهّر بالماء الممزوج بالروح القدس. منذ ذلك الحين، يعتمد الناس بالماء ويغطَّسون فيه ويُنتَشَلون ثلاث مرات على صورة دفن السيد الثلاثي الأيام، وبعد أن يموتوا فيه عن هذا العالم الشرير، في النشلة الثالثة هم أحياء وكأنهم أُقيموا من الأموات أي أن نفوسهم قد أتت إلى الحياة مجدداً وحصلت على نعمة الروح القدس كما كانت عند آدم قبل الخطيئة. ومن ثمّ يُدهَنون بالميرون المقدّس وبه يُمسَحون مع يسوع المسيح، ويشعّون بطريقة تفوق الطبيعة. وكونهم بهذا صاروا مستحقين لأن يكونوا مشاركين مع اللّه، فهم يتذوّقون جسده ويشربون دمه، ومن خلال الخبز والخمر المقدَّسين يصيرون من نفس جسد ودم اللّه الذي تجسّد وقدّم نفسه كضحية .

بعد هذا لا يعود ممكناً للخطيئة أن تتسلّط عليهم أو أن تستبد بهم، لأنهم آلهة بالنعمة. بما أنّ آدم سقط تحت اللعنة وعبره كل البشر المتحدّرين منه، إذاً حُكم اللّه المتعلّق بهذا لا يمكن إبطاله، وبالتالي المسيح كان لعنة لنا من خلال تعليقه على شجرة الصليب لكي يقدّم نفسه ضحية لأبيه، كما قيل، ولكي يبطل حكم اللّه بقيمة الضحية الكبيرة. إذ ما هو الأعظم من اللّه، كما أنه لا يوجد في الخليقة المنظورة ما هو أعظم من الإنسان (لأن كل شيء خُلق من أجله)، كذلك الله هو أعلى من اكل المخلوقات بشكل لا يُقارَن ولا يستطيع أي شيء أن يقارَن به، لا الخليقة المنظورة ولا غير المنظورة.

وهكذا، اللّه، الأعلى بشكل لا يُقارن من كل خليقة منظورة وغير منظورة، قَبِلَ الطبيعة البشرية الأرفع من كل الخليقة المنظورة وقدّمها كضحية إلى ربّه وأبيه. ولأنه أراد أن يشرّف هذه الضحية، لم يتركها بيد الموت. لذلك أبطل حُكمه وأقام أولاً من الموت ذاك الذي قدّم نفسه ضحية للفداء وكبديل عن البشر الذين هم من سلالته، وهو سوف يقيم أيضاً كل البشر في اليوم الأخير عند نهاية هذا العالم. وإلى هذا، نفوس الذين يؤمنون بيسوع المسيح ابن اللّه، بهذه الضحية العظيمة الرهيبة، يقيمها اللّه في الحياة الحاضرة. ونعمته غير المخلوقة ، والتي يعطيها الروح القدس ، يمنحها لكل مسيحي

المسيح وتدبيره الخلاصي: بالتجسّد والصلب والقيامة ، والصعود الإلهي .

وكأنها نفس جديدة، هي إشارة إلى هذه القيامة. إن نفس المسيحي هذه تسمّى «جديرة بالثقة» أو مؤمنة، لأنها مؤتمنة على الروح القدس الذي من اللّه وهي مقبولة منه. فروح اللّه هو الحياة الأبدية، لأن الروح القدس هو اللّه الأزلي المنبثق من اللّه الآب وهو روح المسيح.

## ٤) ممّا يتكوّن سر ودفن ربنا وإلهنا ومخلصنا يسوع المسيح؟

وهكذا إذاً أصبح الصليب وكأنه مذبح هذه الضحية الرهيبة ـ إذ على الصليب مات ابن اللّه بسبب سقوط الإنسان ـ فلذلك يوقَّر الصليب بحق ويكرّم ويصوّر كرمز القيامة العامة لكل البشر، حتى يتحرّر الذين يسجدون أمام خشبة الصليب من لعنة آدم ويحصلون على بركة اللّه ونعمته لعمل كل الصالحات.

عند المسيحيين، الصليب هو تمجيد وبهاء وقوة: لأن كل قوتنا هي في قوة المسيح المصلوب، وكل قابلية الخطيئة عندنا أميتت بموت المسيح على الصليب، وكل رفعتنا ومجدنا هي في اتضاع اللّه الذي تنازل إلى درجة أن يُسرّ بالموت حتى بين الأشرار واللصوص. لهذا السبب بالذات، المسيحيون الذين يؤمنون بالمسيح، يرسمون إشارة الصليب لا بشكل مجرد ولا كما يتفق ولا بقلة اهتمام، بل بكل انتباه وخوف ورعدة وبوقار مفرط. هذا لأن صورة الصليب تُظهر المصالحة والصداقة التي دخل فيها الإنسان مع اللّه.

لهذا تخشى الشياطين صورة الصليب ولا يجرؤون على النظر إلى إشارته مصورة حتى ولا في الهواء، بل هم يهربون منها مباشرة عارفين أن الصليب هو إشارة المودة بين اللّه والبشر وبأنهم، كمرتدين عن اللّه وأعداء له مُبْعَدين عن وجهه الإلهي، ليس لديهم الحرية للاقتراب من الذين تصالحوا معه واتحدوا به، ولا هم يستطيعون أن يجربوهم. وإذا بدا وكأنهم يجربون بعض المسيحيين، فليعلم الجميع أنهم يحاربون الذين لم يفهموا سرّ الصليب الرفيع بشكل مناسب.

أمّا الذين فهموا هذا السرّ واختبروا بالحقيقة سلطة الصليب وقوته على الشياطين، هم فهموا أيضاً أن الصليب يعطي النفس القوة والقدرة والحكمة الإلهية. هؤلاء يصرخون بفرح عظيم: «أمَّا أنا فلَنْ أُفاخرَ إلاّ بصَليب رَبِّنا يَسوعَ المَسيح. به صارَ العالَمُ مَصلوبًا بالنسبَة إليَّ، وصرتُ أنا مَصلوبًا بالنسبَة إلَى العالَم.» (غل٦: ١٤).وهكذا، بقدر ما هي إشارة الصليب عظيمة ومرهوبة ، على كل مسيحي أن يرسمها بخوف ورعدة، بتوقير وانتباه، لا بشكل مجرد ولا كما يتفق، لمجرد العادة وبلا انتباه، إذ بحسب درجة التوقير التي يظهرها المرء للصليب، يتلقّى هذا المرء قوة مناسبة ومعونة من عند اللّه، له المجد والسلطان إلى الأبد. آمين .

# القديس أندراوس الأورشليمي أسقف كريت

ولد القديس أندراوس في دمشق الشام في أيام الغزو العربي، حوالي العام ٦٦٠م، من أسرة تقية فاضلة، اسم والده جوارجيوس وأمه غريغورية. ومع أنه من أكثر المنشدين طواعية فإنه كان في سنيه السبعة الأولى من حياته محروماً من النطق. ولم ينعتق من هذه العلّة إلا بمساهمة القرابين المقدسة. مذ ذاك برزت لديه مواهب غير عادية لا سيما في البلاغة ودراسة الكتاب المقدس. فَنَذَرَهُ ذووه لخدمة كنيسة القيامة في أورشليم.

سافر إلى أورشليم وقد جعله وكيل البطريرك، ثيودوروس، ابنه الروحي. أذ قد لاحظ فيه مواهب جمّة فرغب في إعداده لخلافته وعيّنه، رغم صغر سنه، أميناً للوثائق البطريركية ومسؤولاً عن الشؤون الكنسية.

ظهرت في زمنه بدعة المونوثيلية القائلة بالمشيئة الواحدة في المسيح فتبلبلت الكنيسة. وكان أول من دعا إليها **البطريرك القسطنطيني سرجيوس** (٦١٠-٦٣٨) لغايات سياسية أكثر مما هي لاهوتية ودينية، ليوفق بين المتخاصمين من جماعة القائلين بأن للمسيح طبيعتين وجماعة القائلين بالطبيعة الواحدة مريداً بذلك أن يوحد الصفوف لشد أزر المملكة البيزنطية الروميّة في مواقفها وحروبها مع الفرس والعرب وراقت تلك السياسة للملك هرقل وقام يسعى لتحقيقها فحبطت مساعية ولاسيّما بعد إحتلال العرب للبلاد السورية والمصرية.

ولما ارتقى الملك قسطنطين الملتحي سدة الملك دعا الأساقفة إلى مجمع عام لوضع حد لهذه المنازعات الدينية وهكذا اجتمع المجمع المسكوني السادس في مدينة القسطنطينية **سنة ٦٨٠م** بحضور الملك نفسه. اشترك القديس أندراوس في هذا المجمع نيابة عن بطريرك أورشليم التي حالت موانع دون حضوره، ووقّع مع الآباء (ال ١٧٤) قانون الإيمان الذي يثبت أن في المسيح طبيعتين كاملتين ومشيئتين كاملتين وحرم أتباع هرطقة المونوثيلية.

وبصفته أميناً للوثائق البطريركية ومسؤولاً عن الشؤون الكنسية. أوفد، بعد قليل من انعقاد المجمع المسكوني السادس (حوالي العام ٦٨٥م)، إلى القسطنطينية بمعيّة شيخين قديسين ليقدّم للإمبراطور والبطريرك اعتراف إيمان كنيسته دعما لإدانة هرطقة المشيئة الواحدة. وفيما عاد الشيخان القديسان إلى فلسطين، بقي القديس اندراوس في العاصمة المتملكة حيث توفرت له ظروف مؤاتية للصلاة والدراسة والأعمال الرسولية التي أعده اللّه لها.

بقي قديسنا منكفئاً لبعض الوقت لكنه لم يَخْفَ طويلاً إذ استبانت موهبة الكلمة وخلاص النفوس عنده لعيون البطريرك والإمبراطور فسيم شماساً للكنيسة الكبرى (أجيّا صوفيّا). كذلك أسندت إليه مهمّة العناية بميتم القديس بولس وملجأ الفقراء في حي أفجانيوس.

وعلى مدى عشرين سنة ثابر بغيرة كبيرة على إدارة مؤسستي الإحسان هاتين بحيث نمتا وتحولتا إلى ميناءين للخلاص بفضل حثه على التوبة والفضيلة. نجح في عمله لدرجة أنه في العام ٧١١م صُيّر رئيس أساقفة على كريت. لكن، قبل أن يغادر إلى موقعه الجديد انقلبت الأمور في القسطنطينية، فاغتصب فيليبيكوس العرش وأطيح بالبطريرك كيروس وعُيّن يوحنا السادس محله. مهمة هذا الأخير كانت إلغاء قرارات المجمع السادس وإنعاش هرطقة المشيئة الواحدة. ويبدو أن قديس اللّه رضخ، في ذلك الحين، لضغط السلطة الجديدة عليه. ولكن ما إن استبعد فيليبيكوس بعد سنتين حتى عاد اندراوس إلى نفسه تائباً معترفاً بمشيئتين في المسيح. وثمة مَن يقول إنه وضع قانون التوبة الكبير المعروف باسمه تعبيراً عن **توبته لضلاله العابر** يومذاك.

إلى القديس اندراوس يعود إنشاء عدد كبير من الصلوات والميامر إكراماً لأعياد السيّد ووالدة الإله والقديسين. هذا **شكّل ميراثاً ثميناً في الأدب الآبائي**. كذلك تزييناً لاحتفالات كنيسته وضع، بجدارة منقطعة النظير، عدداً كبيراً من الأناشيد لا زالت محفوظة في كتبنا الليتورجية إلى اليوم. وكما أسلفنا، وضع قديس اللّه **القانون الكبير** الذي يُرتّل في كل عام خلال موسم الصوم الكبير، والذي له وقعٌ مميّز في نفوس المؤمنين كمحرّك إلى التوبة. في هذا القانون، المعروف باسمه «قانون أندراوس الكريتي» أو باسم «القانون الكبير»، يشير القديس اندراوس إلى كل صور العهدين القديم والجديد التي يمكن أن تمثّل نماذج لسبيل الهداية والتوبة. بالنسبة للمؤمن التائب الذي عاين، في مطلع الصوم الكبير، صورة نفسه في آدم القاعد عند أبواب الفردوس، تحمل هذه الأمثلة،

المستمدة من الكتاب المقدس، على إدراك أنه إذ يختزل في حياته خطايا العالم كله لا يسعه التماس الخلاص إلا بالدموع والنسك والصلاة. كما وضع القانون الكبير الخشوعي الذي يتلى يوم الخميس من الأسبوع الخامس من الصوم الأربعيني المقدس وكله إستغفار و إسترحام و إذلال للنفس و تواضع.

إلى ذلك رمّم القديس اندراوس الكنائس والأديرة وأسّس كنيسة لسيدة بلاشيرنا ذكراً للكنيسة التي تحمل الاسم نفسه في القسطنطينية. كذلك نظم ملجأً للمرضى والعجزة والمعوَزين. دعمه له لم يكن بالمال وحسب بل بالحضور الشخصي، بالدرجَة الأولى. هكذا وجد معتنياً بذوي العاهات بنفسه. بالعمل اليدوي الطيب وكلمة العزاء معاً.

وَرَدَ أنه ردّ بصلاته هجمة للعرب المسلمين ضد جزيرة كريت ونجّى الجزيرة من موجة جفاف بالدعاء والدموع وصدّ وباءً ضرب البلاد. كان الكلّ لكلِ واحد. غادر كريت إلى القسطنطينية وعزّز الدفاع عن الإيمان القويم في شأن الإيقونات وإكرامها. عرف بساعة مفارقته إلى ربّه سلفاً. في طريقه إلى كريت حط في جزيرة ميتيليني (ليسڤوس) حيث إنتقل القديس إندراوس إلى الأخدار السماوية في ٤ تموز سنة ٧٢٠م. لذا تحتفل كنيستنا الأرثوذكسية بتذكاره في اليوم الرابع من شهر تموز.

طروبارية باللحن الرابع:

لقد أظهرتك أفعال الحق لرعيتك قانوناً للإيمان، وصورةً للوداعة ومعلماً للإمساك، أيها الأب رئيس الكهنة اندراوس، فلذلك أحرزت بالتواضع الرفعة وبالمسكنة الغنى، فتشفع إلى المسيح الإله أن يخلص نفوسنا.

قنداق باللحن الثاني:

لقد بَوّقْتَ علانية بالترنيمات الإلهية، فظهرت كوكباً للعالم باهر الضياء، متلالئاً بنور الثالوث يا اندراوس البار، فلذلك نهتف إليك جميعنا: لا تزال متشفعاً من أجلنا كافةً .

# العظة الصامتة النارية

توقَّف أحد الشباب في كنيسة ما، والذي كان في السابق يحضر بانتظام القداسات والاجتماعات، توقَّف عن المواظبة والحضور.

بعد بضعة أسابيع، قرر الكاهن أن يفتقده، وكان يوماً شديد البرودة. في ذلك المساء، وجد الكاهن الشاب في المنزل وكان وحيداً. وكان جالساً أمام مدفأة نار بدائية تعمل بالفحم. وإذ تبيَّن للشاب سبب زيارة الكاهن له، رحَّب به بشدة، وقاده إلى كرسي مريح بالقرب من المدفأة، وانتظر. واعتبر الأب الكاهن نفسه وكأنه في منزله، ولكنه لم يَقُل شيئاً. وفي صمت تام وكأنه القبور، أخذ أبونا الكاهن يتأمل في منظر ألسنَة النار المتراقصة من قطع الفحم المحمرّة من النيران.

وبعد بضع دقائق، قام الأب الكاهن وأخذ ملقاطاً، واختار بعناية جمرة نار تحترق وتلمع النار فيها، ثمَ قام بوضعها بجانب مدفأة الموقد وحدها. ثم عاد وجلس على كرسيه، وظلَّ صامتاً. أما الشاب المُضيف فكان يُشاهد كل هذا في تأمُّل هادئ ممزوج بالتعجُّب. أخذت جمرة اللهب تحترق وهي وحيدة، ثم بدأ وميضها يتضاءل، ثم انطفأ توهُّجها ولم يكن أكثر من ذلك. وسرعان ما تحوَّلت الجمرة الملتهبة إلى قطعة فحم باردة وميتة. ولم ينبس الكاهن بأية كلمة منذ ألقى التحية الأولى في بدء الزيارة.

وحملق الكاهن في ساعته، واختار هذا الوقت للمغادرة. ووقف ببطء، ثم التقط الجمرة الميتة الباردة، ووضعها مرة أخرى في شعلة النيران في الموقدة. وعلى الفور بدأت تتوهج مرة أخرى، ومعها عاد الوهج والدفء من قطع الفحم المحيطة حولها. وإذ اتجه الكاهن إلى الباب ليغادر المكان، أخذ المُضيف يتكلَّم والدمع يتدفق على وَجنَتَيه: « شكراً جزيلاً يا أبي على هذه العظة الصامتة النارية. سأعود مرة أخرى إلى الكنيسة من يوم الأحد القادم».

+ «غير متكاسلين في الاجتهاد، حارِّين في الروح، عابدين الرب... مواظبين على الصلاة» (رو١٢-١٢:١١).

+ «ولهذا عينه وأنتم باذلون كل اجتهاد، قدِّموا في إيمانكم فضيلة، وفي الفضيلة معرفة، وفي المعرفة تعفُّفاً، وفي التعفُّف صبراً، وفي الصبر تقوى، وفي التقوى مودة أخوية، وفي المودة الأخوية محبة. لأن هذه إذا كانت فيكم وكثُرت، تُصيِّركم لا متكاسلين ولا غير مثمرين لمعرفة ربنا يسوع المسيح» (٢بط١:٥-٨).

+ «غير تاركين اجتماعنا كما لقومٍ عادة، بل واعظين بعضنا بعضاً» (عب ١٠:٢٥).

# العظات الثمانية عشر لطالبي العمّاد

## لأبينا القديس كيرلّس

## رئيس أساقفة أورشليم

# العظة الخامسة

# في الإيمان

«فالإيمان ضمان الخيرات التي تُرجَى وبرهان الحقائق التي لا تُرى ، وبه شُهد للقدماء ...» (عبرانيين ١١ :١-٣)

### ٨) ـ الايمان يمكن أن يُفيد الغير :

الايمان هو من القوّة بحيث أنه ليس فقط الذي يؤمن هو الذي يخلص ، بل يمكن لغير المؤمن أن يخلُص بإيمان الغير. لم يكن مخلّع كفرناحوم مؤمناً ، ولكنّ الذين كانوا يحملونه ، والذين نقبوا السقف وأنزلوه من خلاله كانوا يؤمنون. كانت نفس المخلع مريضة مثل جسده. لا تظن أني أتهمه باطلاً . فالإنجيل نفسه يعترف بذلك :«لمّا رأى يسوع ـ لا إيمانه ـ بل إيمانهم ، قال للمخلّع» (متى ٩: ٢ – ٧ ، مر٣:٩–١١). كان الذين يحملونه يؤمنون ، والمخلع هو الذي استردّ صحته.

### ٩) ـ مثل أختَي لعازر :

هل تريد أن تعرف بشكل أكثر يقيناً أن الأنسان يمكنه أن يخلُص بإيمان غيره؟ مات لعازَر (يو١١:١–٤٤) وانقضى يوم ثم يومان ثم ثلاثة أيام ، واحلّت أعصابه وبدأ الفساد يدبّ في جسمه. كيف يمكن لميت له أربعة أيام أن يؤمن ويستنجد بالمخلّص ؟ ولكن ما كان يفتقر إليه الميت كان موجوداً عند الأختين. وعندما أتى يسوع سجدت له الأخت. ولما سألها: «أين وضعتموه؟ ـ أجابته: يا رب، قد أنتن لأن له أربعة أيام ؛ فقال لها يسوع: إن آمنت فسترين مجد اللّه» (يو١١ :١٤) ، أي ما معناه: «أنت أتمّي ما ينقصَ الميت من إيمان». وكان إيمان الأختين من القوّة بحَيث أعاد الميتَ من أبواب الجحيم. وهكذا يستطيع البعض ، بإيمانهم لحساب الآخرين ، أن يقيموهم من الموت. فاذا كنتَ أنتَ تؤمن بإخلاص لنفسك ، فهلاّ تستطيع أن تحصل على نتيجة أكثر فائدة؟ وحتّى اذا كنَت غير مؤمن أو قليل الإيمان ، فإن الرب صالح قد يُسَرّ بالصفح عنك. وعليه ، قل أنتَ كذلك بكل بساطة: «إنّي أومن يا رب ، فَأَعِنْ قلّة إيماني» (مر٩:٢٣). أما اذا اعتقدت أنك مؤمن بحق ، ولكنكَ لستَ في كمال الإيمان ، فمن مصلحتك أن تقول مع الرسل: «يا رب ، زدنا إيماناً» (لو١٧:٥). وبما أنك قمت بخطوة ، فان اللّه يقوم بخطوتين نحوك.

### ١٠) ـ الإيمان العقائدي :

كلمة «الإيمان» من حيث اللفظ واحدة ، ولكنها تحمل معنيين متمايزين: هناك نوع من الإيمان يتضمّن موافقة النفس على أمر معيّن ؛ وهو مفيد للنفس ، كما يقول الرب ذلك: «إن من يسمع كلامي ويؤمن بمن أرسلني فله الحياة الأبديّة ولا يصير الى الهلاك» (يو٥:٣٤). وأيضاً: «من يؤمن بالإبن لا يُحكَم عليه ، بل انتقل من الموت الى الحياة» (يو٣:١٨ ، ٥:٢٤). يا لَمحبّة اللّه التي لا نهاية لها ! لقد ارضى الأبرارُ اللّهَ مدّة سنوات عديدة ، وما نالوه بسلوكهم الحسن مدّة سنوات طويلة ، يمنحه لك يسوع في ساعة واحدة (من العناء). لأنك اذا كنت تؤمن أن يسوع المسيح ربّ ، وأن اللّه أقامه من الأموات ، فأنت تخلص (رومية ١٠:٩) ، وتُنقَل الى الفردوس بواسطة ذاك الذي أدخل فيه اللص. ولا تشكّ في أن ذلك ممكن ، لأن الذي أنقذ اللص الذي آمن ، بعد ساعة واحدة من الإيمان على هذه الجلجلة المقدّسة، (لو٢٣:٤٣)، هو نفسه يخلّصك أنت الذي آمنت.

### ١١) ـ الإيمان يصنع المعجزات :

وهناك نوع آخر من الإيمان يمنحه المسيح علاوةً على النعمة: «يتلقّى واحد من الروح كلام الحكمة، وآخر يتلقّى ، وفقاً للروح نفسه ، كلام المعرفة وسواه الإيمانَ في الروح نفسه ، وآخر هبة الشفاء» (١كو١٢:٨–٩). ها هو الإيمان بحسب النعمة التي يمنحها الروح. إنه ليس عقائدياً فحسب ، بل يعمل أعمالاً تفوق قوى البَشر. فمَن له مثل هذا الإيمان ويقول لهذا الجبل: «انتقل من هنا الى هناك ، ينتقل» (متى١٧:١٩) ، مَن يقول ذلك وهو يؤمن أن الشيء سيحدث (مر١١:٢٣) ، ولا يشكّ في قلبه ، ينال هذه النعمة. وقد قيل في هذا الإيمان: «لو كان لكم إيمان مثل حبّة خردل...» (متى١٧:١٩) ؛ وحبّة الخردل صغيرة الحجم ، ولكنها تتمتّع بفاعليّة قوية ، ولو هي زُرِعَت بموضع ضيّق لأتت بأغصان هائلة يمكنها أن تأوي طيور السَماء (متى١٣:٣٢). وهكذا الإيمان في النفس ، مدّة لحظات يأتي بالعجائب ؛ أنه يتمثّل اللّه ويحاول أن ينظر إليه في ضوء الإيمان على قدر الإمكان. ويصل الى أطراف العالم ، وقبل أن ينتهي الدهر . يُري دينونته وتحقيق المكافآت الموعود بها. فليكن لك في اللّه الإيمان الذي يتوقف عليك ، لكي تنال هذه القوّة التي تفوق البشرية.

### ١٢) ـ حفظ قانون الإيمان واجب :

إكتسب الإيمان الذي تتلقّاه بالتعليم والكرازة ، وحافظ عليه ؛ هذا الإيمان الذي تستودعه إياك الكنيسة الآن ، الإيمان الذي يدعمه كل الكتاب المقدس. وبما أن الجميع لا يستطيعون أن يطالعوا الكتب المقدسة ، إذ البعض غير متعلّم ، والبعض منشغل بحيث ليس لديه الوقت لمعرفتها ، فقد لخّصنا كل عقائد الإيمان في آيات قصيرة ، لكي لا تهلك النفس بسبب جهلها. وأودّ بعد هذا الدرس أن **تحفظوا الملخّص** ، لا بكتابته على الورق ، بل بنقشه في قلوبكم بواسطة الذاكرة. واحذروا ، وأنتم تحفظونه ، من أن يسمع أحد طالبي العماد

ما سُلِّم إليكم. ليكن لكم هذا الإيمان كزاد لمدّة حياتكم كلها ، ولا تتلقّوا غيره حتى لو كنّا قد تغيّرنا نحن ، وقلنا لكم أشياء مناقضة لتلك التي نعلّمكم إياها الآن. وحتى لو تحوّل ملاك ساقط الى ملاك نور (٢كور١١:١٤) بغية أن يضلّلكم. «فلو بشّرناكم نحن أو بشّركم ملاك من السماء بخلاف ما بشّرناكم به ، فليكن ملعوناً» (غلا١:٨-٩). ولدى سماعكم هذه القراءة تذكّروا الإيمان ، وتلقّوا طيلة الوقت اللازم البرهان على كل فصل. مستخرجاً من الكتب الإلهيّة. إن عقائد الإيمان لم تُجمَع كآراء بشريّة ، بل جمعت حقائق الإيمان الأكثر أهميّة لتأليف تعليم واحد للإيمان. وكما تحمل بذور الخردل أغصاناً كثيرة في حبّة صغيرة ، كذلك يتضمّن الإيمان ذاته ، في كلمات قليلة ، كلّ معرفة التقوى التي ينطوي عليها العهد القديم والعهد الجديد. فانظروا إذن ، يا إخوة ، وتمسّكوا بالتقاليد التي تتلقونها الآن (٢ تسا ٢:١٥) ، وسجلوها في أعماق قلوبكم (امثال٧:٣) (ملاحظة هامة: القديس كيرلّس الأورشليمي يستعمل كلمة التقاليد وليس التعاليم ، كما تتبعها الكنائس غير الأرثوذكسيّة)

### ١٣) ـ الإيمان وديعة سوف نُسأل عنها :

احفظوها بتديّن خوفاً من أن ينتزع العدوّ بعضها ، أو يُضعف من قوّتها ، أو أن يشوّه الهرطوقي شيئاً مما سُلِّم إليكم. الإيمان هو إيداع الفضة في مصرف (لو١٩:٢٣) وهذا ما فعلناه الآن. سيحاسبكم اللّه عن الوديعة التي عُهِدَ بها إليكم على حدّ قول الرسول: «أوصيك في حضرة اللّه الذي يحيي كل شيء» (١تيمو ٥:٢١) ، «وفي حضرة المسيح يسوع الذي شهد أحسن شهادة بمحضر من بيلاطس البنطي أن تحفظ هذه الوصية بريئة من العيب واللوم. الى أن يظهر ربنا يسوع المسيح» (١تيمو٦ :١٣ – ١٤). لقد سُلم إليك كنز الحياة ، وعند ظهوره سيبحث الرب عن وديعته «التي سيظهرها في وقتها ذلك السعيدُ القدير وحده ، ملكُ الملوك ورب الأرباب ؛ له وحده الخلود ، ومسكنه نورٌ لا يقتَرب منه ، وهو الذي لم يَرَه انسان ولا يستطيع أن يراه ، له الإكرام والعزّة الأبديّة . آمين» (١ تيمو ٦:١٥-١٦ ").

## قانون إيمان كنيسة أورشليم حسب النصوص الواردة في عظات القديس كيرلّس

### هذا هو الإيمان المقدّس والرسولي المُسَلَّم الى المستنيرين ليقوموا بوعدهم:

١) ـ نؤمن بإله واحد، آب ، ضابط الكلّ ، خالق السماء والأرض ، كل ما يُرى وما لا يُرى.

٢) ـ وبربٍّ واحد يسوع المسيح ، المولود ، إله حق ، من الآب قبل كل الدهور ، وبه كان كل شيء.

٣) ـ لقد ظهر في الجسد وتجسّد من العذراء ومن الروح القدس.

٤) ـ وصُلب ودفن.

٥) ـ وقام في اليوم الثالث.

٦) ـ وصعد الى السماوات وجلس عن يمين الآب .

٧) ـ وسيأتي بالمجد ليدين الاحياء والأموات ، ولا فناء لمُلكه.

٨) ـ وبالروح القدس الوحيد ، المعزّي ، الناطق بالأنبياء.

٩) ـ وبمعمودية التوبة الواحدة لمغفرة الخطايا.

١٠) ـ وبكنيسة واحدة مقدسة جامعة .

١١) ـ وبقيامة الجسد .

١٢) ـ وبالحياة الأبدية.

## التوبة.. الشاعر يوبّخ الخاطىء ويُنذره

فَيَا مَنْ بَاتَ يَنْمُو بِالخَطَايَا ... وَعَيْنُ اللّه سَـاهِرَةٌ تَـرَاهُ

اَمَا تَخْشَى مِنَ الدَّيَّانِ طَرْداً ... بِجُـرْمٍ دَائِمـاً اَبَـداً تَـرَاهُ

اَتَعْصِي اللّهَ وَهْوَ يَرَاكَ جَهْراً ... وَتَنْسَى فِي غَدٍ حَقّـاً تَـرَاهُ

وَتَخْلُو بِالمَعَاصِي وَهْوَ دانٍ ... اَلَيْكَ وَلَيْسَ تَخْشَى مِنْ لِقَاهُ

وَتَنْكِرُ فِعْلَهَا وَلَهَا شُهودٌ ... بِمَكْتُوبٍ عَلَيْكَ وَقَدْ حَوَاهُ

فَيَا حُزْنَ المُسِيءِ لِشؤمِ ذَنبٍ ... وَبَعدَ الحُزْنِ يَكْفِيهِ حِمَاهُ

فَيَنْدُبُ حَسْرَةً مِنْ بَعْدِ مَوْتٍ ... وَيَبْكِي حَيْثُ لاَ يُجْدِي بُكَاهُ

يَعَضُّ اليَدَّ مِنْ نَدَمٍ وَحُزْنٍ ... وَيَنْدُبُ حَسْرَةَ مَا قَدْ عَرَاهُ

فَبادِرِ بالصَّلاحِ وَاَنْتَ حَيٌّ ... لَعَلَّكَ اَنْ تَنَـالَ بِهِ رِضَاهُ

## إنّما النجوم زينة السماء. وزينة الأرض النساء اللواتي يُنشئن رجالاً عظماء.

لقاء العذراء مع نسيبتها اليصابات

ترعرع القديس يوحنا المعمدان في بيت مقدّس ، فاستَحقَّ أن يكرز للجموع ، ليُعِدَّ شعباً مستعداً للتوبة في فترةٍ وجيزة.

# ثياب الحشمة والوقار

## للقديس يوحنا الذهبي الفم

**القديس بولس الرسول في رسالته الأولى إلى تلميذه تيموثاوس يقول:**
**...«وكذلك أن النساء يُزَيِّنَّ ذواتهن بلباس الحشمة، مع ورع وتعقل، لا بضفائرَ أو ذهب أو لآلئ أو ملابس كثيرة الثمن، بل كما يليقُ لنساء متعاهدات بتقوى اللّه بأعمال صالحة» (١تي٢:٩-١٠).**

«.. جاء العريس والمستعدّات دخلن معه إلى العرس» (مت٢٥:١٠)

ما هذا؟! أتقتربي من اللّه للصلاة بالضفائر والحلي؟ هل أنت ذاهبة لحفلة رقص؟ هل أنت ذاهبة إلى عرس أو عيد عالمي حيث مكان الحلي والضفائر والثياب الفاخرة؟ هنا ليس لها إحتياج. أنت أتيت لتصلي، أتيت لتتوسلي من أجل مغفرة خطاياك، لتلتمسي الرَحمةَ من أجل ذنوبك، لكي تتضرعي للرب وتستعطفيه بصلواتك. لماذا إذاً تُزَيِّنَين نفسكِ؟ ليس هذا هو المظهرَ الذي يليق بالتوسل، كيف تَتنهَّدين ؟ كيف تَبكين؟ كيف تصلين بحرارة وأنت مُحملة بالحلي؟ إذا بكيت، دموعك سوف تكون مصدر سخرية للذين يشاهدونك، لأن التحلي بالذهب لا يتفق مع اللآئي يبكين، ألا يكون هذا تمثيلاً ورياءً. أليس هذا تمثيلاً أن تتدفق الدموع من قلب يسكنه حب الترف والزهو؟ ؛ إطرحي بعيداً عنك هذا الرياء! اللّه لا يُسخَر منه! هذه الثياب تخص الممثلين والراقصين، الذين يعيشون على خشبة المسرح، كل هذه الأمور لا تناسب إمرأة مُحتشمة، بل يليق بها التزين بالورع والتعقل.

لا تقلدي إذاً المحظيات، فهن بهذا الثوب يغرين عشّاقهن، ومن ثم كثيرات جلبن على أنفسهن شكوك شائنة، وبدلاً من كسب أي فائدة من زينتهن تَسَبَّبْنَ في ضرر الكثيرين بسلوكهن. لأنه كما أن الزانية إذا كان مظهرها محتشم لَا تنتفع شيئاً في يوم الدينونة عندما يستعلن كل ما تم فعله في الخفاء، كذلك أيضاً المرأة الشريفة إذا كانت بهذا الثوب تقتدي بالزانية سوف تفقد فائدة عفتها، لأن كثيرين تضرروا من هذا السلوك. قد تقولين: «وماذا أفعل أنا ... إذا كان شخص آخر ينظر لي هكذا؟»، لكنك أنت التي تعطينه الفرصة من خلال ثوبك ونظراتك وإيمائاتك. لهذا السبب، يهتم **بولس الرسول** بتوجيه النظر للورع وحشمة الملبس. وإذا كان يُنَبِّه على تلك الأشياء التي تدل فقط على الثراء مثل الذهب واللآلئ والملابس كثيرة الثمن، فكم بالأكثر يكون التنبيه على الزينة المتعمدة كالمساحيق، تلوين العيون، المشية المتخاطرة، الصوت المتصنع، النظرة الواهنة الخليعة، العناية المفرطة في إرتداء الصدرة والمعطف، الأحزمة المطرزة بدقة، الأحذية الأنيقة؟ إذ أنه قد ضم كل هذه الأشياء بكلامه عن «لباس الحشمة» و«الورع والتعقل»، لأن كل هذه تدل على عدم اللياقة وعدم الحشمة.

أرجو أن تحتملن هذا الحديث، لأني بهذا التوبيخ غرضي ليس جرحكن أو التسبب في الألم، لكن، بل لكي أزيل من قطيعي (شعبي) كل تصرف غير لائق. وإذا كانت هذه الممنوعات موجهه للنساء المتزوجات الثريات، اللآئي يعشن في الرفاهية، فكم بالحري بالنسبة للآئي كرسن حياتهن للبتولية.

لكن قد تقولون: أي بتول تتزين بالحليّ وضفر الشعر؟ إلا أنه قد تكون هناك عناية زائدة حتى مع الثوب البسيط، بحيث تكون الزينة لا تساوي شيئاً بجانبه. قد تكون العناية بالمظهر عند التي تلبس ملابس عادية أكثر من تلك التي تلبس بالذهب. لأنه عندما ينسحب رداء غامق اللون بشكل وثيق حول الصدر بالحزام ـ كما يلبسن الراقصات على المسرح ـ بإتقان شديد بحيث لا ينبسط بإتساع أو ينكمش بضئالة، وعندما يبرز الجسم من جراء كثرة اللفات، ألا يكون هذا الرداء أكثر إغراءً من أي رداء حريري؟!

لنخف أيها الأحباء، لئلا نسمع نحن أيضاً كلام النبي الذي وَجَّهَهُ للعبرانيات، الذين كنَّ مفرطات في العناية بزينتهن الخارجية :«من أجل أن بنات صهيون يتشامخن ويمشين ممدودات الأعناق ...فيكون عوض الطيب عفونة وعوض المنطقة حَبلٌ وعوض الجدائل قرعة... وعوض الجمال كيٌّ...» (اشعيا ٣:١٦-٢٤). كل هذه الزينات وأخرى كثيرة، التي تم إبتكارها فقط للعرض وجذب المشاهدين تعتبر أكثر إغراءً من الحليّ الذهبية. هذه الأخطاء ليست تافهة، بل تُغضب اللّه، وكافية لإفساد جهاد إنكار الذات الذي للبتولية. عريسك هو المسيح، أيتها العذراء، لماذا تسعين وراء جذب عشاقاً من بين الرجال؟ سوف يدينك كزانية. **لماذا لا تريدين الزينة التي ترضيه: الحشمة، العفة، اللياقة، واللباس المتزن؟** هذه بهرجة زائفة وشائنة. لم نعد نستطيع التمييز بين بائعات الهوى والمتبتلات ، إلى هذا الحد من عدم اللياقة وصلن.

يجب أن يكون لباس العذراء بسيطاً غير منمّقاً وبلا جهد، لكنهنّ قد إبتكرن الآن حيل كثيرة لجعل ثوبهن ملفتاً للنظر.أيتها المرأة أتركي هذا الجنون، حوّلي هذه العناية لزينة نفسك الداخلية. لأن هذه الزينة الخارجية التي تشغلك تتعارض مع الزينة الداخلية. لأن الذي يعتني بالخارج يُهمل الداخل، والذي يُهمل الخارج يركز كل عنايته في تزيين الداخل.

تذكّري مثل العشرة عذارى، إنّ العذارى الجاهلات عملن كل شيء صالح سوى فقدان عمل الرحمة ، وهكذا كانت قواريرهن خاليةً من الزيت، عندها سمعوا هذا الكلام المرّ : «الحقّ الحقّ أقول لكنَّ إني مَا أعرفُكُنَّ» (متى٢٥:١٢). فسبيلُك أن تنتبهي كثيراً لكي لا تبقي خارج خدر المسيح ، الذي له كل مجد وإكرام وسجود إلى الأبد آمين.

# عظمة الكاهن

«من هو العبد الأمين الحكيم الذي أقامه سيّده على خدَمِه ليعطيهم الطعام في حينه ؟»

للقديس مكسيموس المعترف

السيّد المسيح يطرد الباعة من الهيكل. إنّ بيت أبي بيت صلاة وليس مغارة للصوص

يجب ان يكون الكاهن قدّيساً نفساً وجسداً، وعمود نور ينير الكنيسة التي هي شعب اللّه، وأن يكون أنقى من أشعة الشمس لئلا يتركه الروح القدس مقفراً. إن الكهنوت يصير على الأرض إلاّ إنّ له رتبة الطغمات السماوية. فانَّ لا ملاك ولا إنسان ولا قوَّة أخرى مخلوقة تستطيع أن تجريه وتتّمه بل الروح الكليُّ قدسه هو في الخدمة بنفسه. والكاهن إنّما يتمّم خدمة الملائكة. لأجل ذلك يجب على كل الحائزين على درجات الكهنوت المختلفة أن يتصوَّروا وهم يكملون الخدمة أنّهم واقفون مع الملائكة في السماء أمام اللّه. ولذلك يُطلب منهم أن يكونوا طاهرين أنقياء كالملائكة.

أما علمتم أنه لولا مؤازرة نعمة اللّه مؤازرة عظيمة لما استطاعت نفس بشرية قطُّ أن تصمد أمام نار تلك الذبيحة الهائلة! لإنه إن كان ليس في استطاعة أحد أن يعرف ماهية الإنسان المركّب من لحم ودم، فكيف يمكن الدنوُّ من الطبيعة المغبوطة المتفوّقة في الطهارة والنقاوة؟ من يتأمّل في هذه الحقائق يستطيع أن يُدرك تمام الإدراك مقدار الكرامة التي للكهنة والتي إنما أُهّلوا لها بنعمة الروح القدس. فالكهنوت خدمة جليلة سماوية إلهية. هكذا احتسبه الآباء القديسون المتوشحون باللّه فوقّروه جداً واحترموه وقالوا إنه لا يجب ولا يليق أن يُمنح إلاّ للقديسين فقط. ولذلك يجب على كل كاهن أن يمتحن نفسه فإذا رأى أنه غير مقدَّس وغير طاهر فليندم ويتب بدموع حارَّة. وإلا فليهرب بعيداً من الخدمة لئلا يحترق نفساً وجسداً. ثم إن الكهنوت هو بهذا المقدار أعلى وأجلّ من الملك بمقدار الفرق الموجود بين النفس والجسد. فيجب على الكهنة الذين يمارسون الخدمة الكهنوتية الرهيبة أن يبذلوا جهدهم في تطهير نفوسهم حتى من أحقر وأقلّ التخيُّلات النفسية ومن ثم يُقْدِمُون على الخدمة. متشبهين على قدر استطاعتهم بالساروفيم والشاروبيم.

يوجد بعض الكهنة لا يسلكون بمقتضى القوانين والشرائع الإلهية لا قولاً ولا فعلاً ولا فكراً لكنهم **مشغوفون بمحبة المجد والشرف** ولا هَـمَّ لهم إلاّ أن **يحترمهم الناس ويبجلونهم**. ولكن أمثال هؤلاء الكهنة ولسوء الحظ لم ولن يستطيعوا أن يخلّصوا لا أنفسهم ولا غيرهم. آخرون صاروا كهنة لأنّهم كسالى ولا طاقة لهم على الشغل والعمل اليدوي ولم يستطيعوا أن يدبّروا أمور معيشتهم. وهنالك آخرون دون أن يقدّروا عظم الضرر الذي قد يلحق بالكنيسة، ودون أن يدركوا عظم أهمية هذه الخدمة الإلهية، قد تجرَّأوا على الدخول إلى المذبح المقدس دون أن يكونوا حائزين على شيء من المؤهلات من علم وأدب وأخلاق. وإذ لم يَقْدرُوا أن يُقَدِّرُوا هذا السرّ الرهيب حقَّ قدره راحوا يزعمون أنّ الكهنوت إنّما هو جرأة وجبروت. آخرون كانوا فاضلين أتقياء أعفّاء إلى درجة القداسة ولكنّهم لما ارتقوا إلى درجة الكهنوت اعتزُّوا بهذه الرتبة فوضعوا كل ارتكانهم عليها وكل ثقتهم بها فَخُدِعُوا وتراخت عزائمهم وتهاونوا في ممارسة الفضائل التي كانوا يمارسونها قبلاً، بل توغلوا في الملاذ وارتكبوا الذنوب فعوقبوا عقاباً شديداً.

بينما هناك آخرون يخدمون المذبح بتواضع وبضمير طاهر فيحظون بالمكافأة من الرب لقاءَ ذلك. فمن يخدم عن غير استحقاق هو **يهوذا ثان**. **وهو خائن**. لان داثان وابيرام قد انشقَّت الأرض وابتلعتهما حَـيَّين ، لانهما تجرَّأا على التبخير في هيكل الرب عن غير استحقاق، فكم بالحري يكون اكثر إجراما من يطأ جسد المسيح المخلّص ودمه! لا مراء أن مثل هذا سوف يُعاقب بأشنع العقوبات ويُقاصُّ بأشدَّ القصاص.

فالكاهن الصالح الحقيقي يجب أن يكون تقياً, حكيماً, محباً للتعليم, متواضعاً, غير مدمن الخمر, ضابطاً نفسه ولسانه, غير حقود, ولا بخيل, بل رحيماً, محباً, وعلى الخصوص للغرباء. يجب أن يكون محباً للجميع كباراً وصغاراً ومسالماً الجميع. وأن لا يأخذ رباً ممن يقرضهم وان لا يجدّف ولا يحرم ولا يلعن، ألاّ يكون تاجراً لئلا ينطق بالكذب، ألاّ يدخل مع آخرين في مخاصمات ومنازعات، ألاّ يتعظم ويستكبر، ألاّ يستعمل الهزل ليُضْحك الآخرين،ألاّ يكون مهذاراً وألاّ يتكلم إلاّ بالكلام المفيد والنافع لسامعيه مسترشداً بآيات الكتاب الإلهي، ألاّ يكون شرهاً ولا شهوانياً لئلا يحزن الروح القدس. وان لا يجاوب سائليه بغضب ونزق بل بروح التواضع نحو الجميع، ألاّ يتبرَّج ويتزَّين، أن لا يحسَد نجاح الغير، أن يسامح من يشتمه من كل قلبه أمام الجميع وقبل غروب الشمس، أن يفحص الذين يسقطون في الخطايا بوداعة ويوبّخهم بمخافة اللّه.لا يجب أن يكون عثرةً أو سبب شك لأحد غنياً كان أو فقيراً. جميع هذه الأمور التي ذكرناها يجب علىً الكاهن أن يحافظ عليها بكل دقَّة وبغاية الانتباه ليتسنّى له بدالّة وبقلب طاهر أن يعلّم آخرين أيضاً. فان تهاون بما ذكر ولم يحفظه جيداً لفائدة الذين يتعلَّمون منه وبنيانهم فالأوفق له أن يعلّق في عنقه حجر الرُّحى ويزجَّ في البحر لأنه خالف ناموس المسيح واستهان بتعليم كهذا، عظيماً.

ومنهم من استلم **رتبة الأسقفيّة** ، فتعالت نفسه وزَهَت بالكبرياء خوالجه: ونسي أنّه **صفر اليدين**، وأنّه **دودٌ وتراب** كما قال النبي داود ، فنعمة الأسقفيّة هي عطيّة من عطايا المسيح ، فهو مطالبٌ بها كوزنةٍ كبيرة، لأنّ من أعطيَ كثيراً ،يطالب بأكثر.

# كيف ينبغي أن يستعد الانسان للاعتراف؟

## مختارات من كتاب «دليل الإعتراف» - للقديس نيقوديموس الآثوسي

### ما هي التوبة؟ :

أخي الخاطئ، هذا هو الاستعداد الواجب اتّباعه قبل أن تتوب وتذهب إلى الاعتراف. اعرفْ أولاً أن التوبة، بحسب القديس يوحنا الدمشقي، هي العودة من الشيطان إلى اللّه، التي تتمّ بالألم والجهاد. وهكذا أنتَ أيضاً، أيها الحبيب، إذا رغبت بأن تتوب كما يليق، عليك أن ترفض الشيطان وأعماله وتعود إلى اللّه وإلى الحياة التي تليق به. عليك أن تنبذ الخطيئة التي هي ضد الطبيعة، وتعود إلى الفضيلة التي هي بحسب الطبيعة. عليك أن تكره الشر كثيراً، حتى تقول مع داود: «أَبْغَضْتُ الإثم وَكَرِهْتُهُ» (مزمور ١١٨:١٦٣)، وبدلاً عن ذلك، عليك أن تحبّ الخير ووصايا الرب كثيراً حتى تقول أيضاً مع داود: «أَمَّا شَرِيعَتُكَ فَأَحْبَبْتُهَا.» (الآية نفسها)، وأيضاً: «لأَجْل ذلكَ أَحْبَبْتُ وَصَايَاكَ أَكْثَرَ منَ الذَّهَبِ وَالإبْرِيز.» (مزمور ١١٨:١٢٧). باختصار، الروح القدس يعلّمك بسيراخ الحكيم ما هي التوبة الحقيقية في قوله: «تُبْ إلى الرب وأقلعْ عن الخطايا، تضرَّع أمام وجهه وأقللْ من العثرات. إرجعْ إلى العلي وأعرضْ عن الظلم وأبغض القبيحة أشدّ بغض» (ابن سيراخ ١٧:٢٥-٢٦).

**مظاهر التوبة:** اعرفْ ثانياً أن مظاهر التوبة هي ثلاثة: الندم، الإعتراف، والإرتياح.

**الندم :** الندم هو الأسف والحزن الكامل في القلب، وهما يكونان في الشخص الذي، بسبب الخطايا التي ارتكبها، خيّب اللّه وخالف ناموسه الإلهي. هذا الندم يأتي فقط على الكاملين ومَن هم أبناء اللّه، لأنّه ينشأ فقط من محبة اللّه. تماماً مثلما يتوب الولد فقط لأنه خيّب أباه، وليس لأنه سوف يُحرم من الميراث أو يُطرَد من المنزل الأبوي. في هذا الخصوص، يقول الذهبي الفم الإلهي: «تأوّه بعد أن أخطأت، ليس لأنّك سوف تُعاقَب (إذ ليس العقاب شيئاً)، بل لأنك أثمتَ إلى سيدك، مَن هو كثير الكرم، وفائق اللطف، ويحبّك كثيراً ويتوق إلى خلاصك حتى أنّه بذل ابنه من أجلك. لهذا تأوّه».

**الألم :** الألم مرتبط بالندم، الذي هو أيضاً حزن وأسى غير كامل في القلب، وهو يأتي ليس لأن الإنسان خالف اللّه بخطاياه، بل لأنّ هذا الإنسان قد حُرِم من النعمة الإلهية، خسر الملكوت وكسب الجحيم. هذا الألم يكون لغير الكاملين، أي للأجراء والعبيد، لأنّه لا يصدر عن محبة اللّه، بل عن الخوف ومحبة الذات، تماماً مثلما يتأسّف الأجير لفقدانه أجرته ويتحسّر العبد خوفاً من تأديبات سيده. وهكذا أنتَ أيضاً، يا أخي الخاطئ، إذا أردتَ أن تكتسب هذا الندم والألم في قلبك، وبهما يكون ندمك مرضياً للّه،

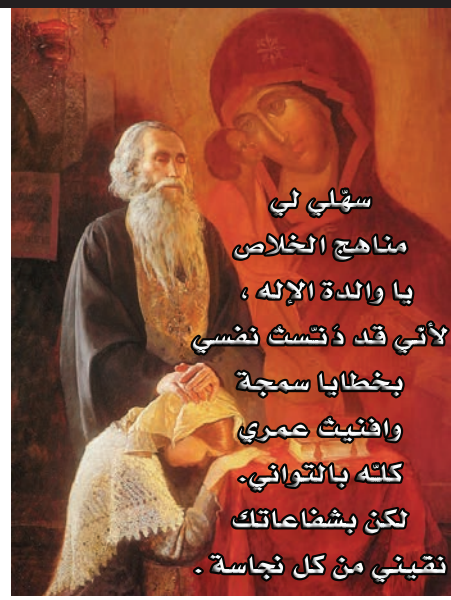


عليك أن تفعل ما يلي لتحظى بدرجة الإرتياح:

١) اعترف لأب روحي مختبر أولاً، فتّش حولك واعرفْ مَن هو الأب الروحي الأكثر خبرة، لأن باسيليوس الكبير يقول: كما أن الناس لا يظهرون أمراضهم وجراحهم الجسدية لأي طبيب كان، بل للأطباء أصحاب الخبرة الذين يعرفون كيف يداوونهم، كذلك أيضاً ينبغي كشف الخطايا، ليس لأيٍّ كان، بل لأولئك القادرين على شفائها: «في الإعتراف بالخطايا ينبغي اتّباع الطريقة نفسها كما في الكشف عن أمراض الجسد. كما أن الإنسان لا يكشف أمراض الجسد لكل الأطباء أو للمارّين صدفة، بل لأصحاب الخبرة في علاجهم، كذلك أيضاً ينبغي أن يكون الإعتراف بالخطايا أمام أولئك القادرين على معالجتها، كما هو مكتوب: «فَيَجِبُ عَلَيْنَا نَحْنُ الأَقْوِيَاءَ أَنْ نَحْتَمِلَ أَضْعَافَ الضُّعَفَاءِ» (رومية ١٥:١)، أي أن تحملوها باهتمامكم».

٢) كيف يفحص الإنسان ضميره؟، تماماً كما تجلس لتَعدّ مالَك بعد صفقة ما، بالطريقة نفسها امضِ إلى مكان محدّد، أيها الأخ، وقبل اسبوعين أو ثلاثة من ذهابك إلى الأب الروحي الذي وجدته، خاصةً عند بداية كل من فترات الصوم الأربعة في السنة، اجلسْ في ذلك المكان الهادئ، احنِ رأسَك، امتحن ضميرك، هذا ما يسمّيه فيلون اليهودي (الاسكندري): «فحص الضمير»، وكنْ «لا مدافعاً عن خطاياك بل قاضياً لها»، بحسب الطوباوي أوغسطين. تأمّل، مثل حزقيّا، في كل حياتك بحزن ومرارة في النفس: «مُتَمَهِّلاً كُلَّ سنيَّ من أَجْل مَرَارَة نَفْسي.» (إشعياء٣٨:١٥). تأمّل أيضاً كم أخطأتَ في الأعمال، والأقوال، والارتباط بالأفكار، بعد آخر اعتراف لك، عاداً الأشهر والأسابيع والأيام. تذكّرْ الأشخاص الذين أخطأتَ معهم والأماكن التي أخطأتَ فيها، وباجتهاد تأمّل في هذه الأشياء لكي تجد كلاً من خطاياك. هكذا ينصح سيراخ الحكيم قائلاً من جهة: «قبل القضاء افحص نفسك» (ابن سيراخ١٨:٢٠). ومن جهة أخرى، يقول غريغوريوس اللاهوتي: «امتحنْ نفسك أكثر من قريبك. حساب الأعمال هو أهمّ من حساب المال. لأن المال يفسد بينما الأعمال تبقى». وتماماً، كما أن الصيادين لا يكتفون بمجرّد إيجاد وحش في الغابة، بل يسعون بكل الطرق إلى قتله، كذلك يا أخي، عليك ألاّ تكتف بفحص ضميرك وإيجاد خطاياك وحسْب، لأن هذا ينفعك قليلاً، بلَ جاهدْ بكل الطرق لقتل خطاياك بالحزن في قلبك، أي بالندم والألم. ولكي تكتسب الندم، افتكرْ في كمْ اعتديت على اللّه بخطاياك. لكي تكتسب أيضاً الألم، فكّرْ في كم اعتديت على نفسك بخطاياك، وهكذا تحصل بعد الإعتراف على مرحلة الأرتياح.

# العهد القديم في الكتاب المقدّس (٥٥)

## الفصل السادس:

## المملكة المتحدة ـ (١٠٣٠-٩٣١ ق.م.)

### سقوط شاول وقيام داود (تتمة):

وإذ فشل شاول في ذلك (إغتيال داود) ، قدم في حيلة ماكرة عرضاً لداود أن يصاهر الملك نظير قتل مئة من الفلسطينيين ، ولم يكن في حقيقة الأمر يرغب في أن يزوج إبنته له ، لكنه كان يرجو أن يُقتَل داود أثناء حربه معهم (١صم١٨:٢٥).

تزوج داود ميكال إبنة شاول وتوطدت الصداقة مع يوناثان ابن الملك شاول ، وكسبَ داود إعجاب الشعب ، لكن غيرة شاول كانت تشتعل نيرانها ، فَحاول قتله بالرمح مرتين لكنه فشل. ولم تهدأ هذه الغيرة فأرسل لقتله في بيته ، لكن ميكال زوجته أنقذته ، ويهرب داود ليبدأ رحلة التيه ، فيلجأ إلى الرامة طالباً أباه الروحي صموئيل ، وأرسل شاول لقتله عند صموئيل ، وكان صموئيل قد أسس مدرسة للأنبياء في الرامة، ولثلاث مرات يتنبأ رسل الملك ولم يعودوا ، فلم يجد شاول أمامه إلا أن يأتي بنفسه إلى الرامة لقتل داود، لكنه يتنبأ هو أيضاً إذ في حماسه خلع ملابس الحرب وانطرح كل النهار والليل يتنبأ ، وعاد داود إلى جبعة طالباً مساعدة صديقه يوناثان ، ولكن شاول الذي تركه روح الرب لم يستمر معه ذلك الحماس المفاجيء في مدرسة الأنبياء ، وعاد يجتر غيظه ، وحمل يوناثان أخباراً غير سارة عن إنتقام شاول المزمع وعزمه على قتل داود ، ونلاحظ في القصة كيف إنقلب بيت شاول عليه، إذ أن ميكال تخدع أبيها وتنقذ داود، ويوناثان صديقاً يخلص له (١صم٢٠:٤٢). وفي النهاية هرب داود مرة أخرى وذهب إلى أرض نوب جوعاناً وليس بين يديه سلاح، والتجأ إلى رئيس الكهنة الذي أعطاه خبز التقدمة ـ (أنظر متى ١٢:٣-٤) ـ وسيف جليات الذي حُفظَ هناك كغنيمة، ثم قرّر داود أن يتخذ خطوة جريئة لكنها كانت خَطيرة ، فالتجأ إلى ألدّ أعدائه وهم الفلسطينيون. وهبط من تلال يهوذا ووصل إلى جت، لكن **أخيش ملك جت** تشكّك في داود وأدرك داود أنه إرتكب خطأً جسيماً بالتجائه إليهم ، فادعى الجنون واستاء منه **أخيش** وأطلقه، وسار داود ما يقرب من عشرة أميال (١٦كم) في الشفيلة إلى عدلام القريبة من موقع إنتصاره على جليات، وهناك في الأرض الفسيحة المنحصرة بين الفلسطينيين وشاول وهي منطقة تفصل بينهما ، وهناك مرتفعات شديدة الإنحدار، وموارد كافية للمياه، وكهوف كثيرة للإختفاء ، فأقام داود لنفسه معسكراً حصيناً ومكاناً آمناً لا يسهل فيه مفاجأته، وهناك إنضم إليه إخوته وأفراد عشيرته وكل فرد كان متضايقاً أو غير راض ، فكوّن جيشاً من ٤٠٠ مقاتل، ولحماية عائلته إصطحب والديه فيً رحلة طويلة عبر بحر الملح إلى مملكة موآب وتركهم في حماية ملك موآب، فالدم الموآبي يجري في عروقه من جدته راعوث.

وحين علم داود أن الفلسطينيين يحاصرون قعيلة وهي مدينة لا تتبع يهوذا ولا الفلسطينيين قام مع رجاله وشتّت الفلسطينيين ، لكن أهل قعيلة لم يحفظوا له الجميل ، وعلم داود أنهم سوف يسلمونه مع جيشه إلى شاول ، لذلك هرب إلى برية زيف، واقام هناك على هضبة مرتفعة ، لكن الزيفيين أخبروا شاول عن مكانه ، وذهب داود إلى برية معون وتبعه شاول وكاد داود يقع في يده لولا أن اللّه دبّر أن يصل رسول يخبر شاول بأن الفلسطينيين قد إقتحموا الأرض ، وَيَغيرُون على قرى الشمال ، فرجع شاول ليواجه الأزمة الطارئة ، وترك داود ، وهكذا ينجو داود للمرة الثانية ، فوصل بسلام إلى عين جدي على شواطىء البحر الميت. وبعد أن تخلص شاول من خطر الفلسطينيين عاد واستأنف مطاردته لداود عند عين جدي ومرتفعاتها الوعرة دخل مغارة وقد سبقه إليها داود وأعوانه ، وسقط شاول في يد داود وكان بإمكانه أن يقتله في تلك الفرصة النادرة ، لكن رجل الإيمان داود كان يعلم أن اللّه قادر أن يقيمه على العرش دون تدخله الشخصي ، فلم يمد يده لقتل شاول (١صم٢٤) ، وعاد شاول إلى الرامة ورجع داود إلى معسكره الحصين في عدلام ، وفي هذه الفترة مات صموئيل النبي ودُفن في الرامة ، وربما كان ذلك سبباً لأن ينقل داود مقرّه إلى بريّة معون.

وعند الكرمل القريبة حدث إختلاف بين داود ونابال التاجر في برية فاران الذي كان يحتفل إحتفالاً عظيماً وهو يجزّ غنمه ، ورأى داود أن الوقت مناسب ليطلب من نابال مقابل الحراسة التي كان رجال داود يقومون بها في حراسة غنم نابال من الفلسطينيين والعمالقة ، ولكن كان الرجل أحمقاً وكادت تندلع نيران الإنتقام لولا حكمة أبيجايل زوجة نابال التي هدّأت غضب داود ، وقد اتخذها فيما بعد زوجة له (١صم٢٥).

# الأرثوذكسيّة
# قانون إيمان لكل العصور

الأب: أنتوني م. كونياريس

(١٣)

الرسل الأطهار

قاعدة الأيمان

## خلقة الحياة في أنبوبة اختبار:

سمعنا أن العلماء الباحثين على وَشَك خلقة حياة في أنبوب اختبار. سوف يُحوِّل الإنسان مواد كيميائيّة ميّتة إلى مواد حيّة يمكنها أن تنمو وتُنتج وتوجد الحياة ثانية، وبكلمات أُخرى، سوف يمكن للإنسان عن قريب أن يعمل عمل اللّه. يوجَد مَن هم قلقون بخصوص موقف الدين من هذه الأمور ويقولون:«إن تمكَّن الإنسان من أن يُخلق الحياة، فما هي حاجتنا بعد لنؤمن باللّه ؟».

إلاَّ أنه يوجد أيضاً آخرون يعتقدون أنه بدلاً من أن يكون إيجاد حياة في أنبوبة اختبار هو تهديد للدّين، بل إن هذا يؤكّد عظمة حكمة اللّه. سوف يميط العلم اللثام مرَّة أُخرى ويُظهر مرَّة ثانية العمليَّة المُدهشة التي بها ظَهرت الحياة لدهور لا تُحصَى. سيكون الإنسان إنما يعمل فقط نُسخاً من العملية التي أتَّمها اللّه في خلقة الحياة. ومع ذلك حتى ولو حدث هذا، وسيصبح جراءَةً زائدة أن نتصوَّر أن ما يصنعه الإنسان في أنبوبة اختبار سوف يكون كافياً ليشرح خلقة الكون بكامله. الحياة التي سوف تُخلَق بهذا الشكل سوف تكون بدائية بسيطة للغاية من نوع الفيروسات. وأحياناً نتعجَّب ممَّن يَدَّعي أن الإنسان يقدر حقّاً أن يخلق شيئاً، إنه فقط يفصل بين أشياء موجودة من قَبل ويضعها مع بعض مرَّة أخرى. إنه يعيد تنظيم أشياء خُلِقَت مُسبقاً. إن اللّه عندما يخلق، فإنّه يوجِد من العَدَم.

## حقائق تحتويها عقيدة الخلقة

هناك حقائق مُعَيَّنة تنبع من حقيقة الخلقة وهي:

(١) إن كان اللّه قد خلقنا، فنحن إذن ننتسب إليه، وأصبح من حقِّه ـ مثلاً ـ أن يعطينا وصايا، وواجب علينا أن نطيعه. نتكلَّم كثيراً في هذه الأيام عن حقوق الإنسان كما لو كان لا يوجَد غير الإنسان في هذا الكون. إن كان لنا حقوقاً، فللّه أيضاً حقوقٌ علينا، وهذه الحقوق هي بسبب فضله أنه خلقنا.

(٢) عقيدة التجسُّد تخبرنا أن العالَم يخص اللّه. اللّه يحبّه ويعتني به، زنابق الحقل تهمّه، والعصافير الصغيرة يهتم بها. اللّه خلق العالَم ليكون جميلاً. إنّ روّاد الفضاء الثلاثة على السفينة الفضائيّة أبّوللو ٨ رأوا كوكبنا الصغير كما لم تره عين بشريّة مائتة من قَبل. كَتَبَ الرائد جيم لوفيل *Jim Lovell* أن في عالم الفضاء الخارجي ذي اللون الأسود والأبيض، كان الجزء الصغير الملوَّن هو فقط على ظهر الأرض، إنه يحمل كل الرجاء وكل الحياة وجميع الأشياء التي عرفها طاقم الفضاء وأحبَّها. لقد كان هو أكثر الأشياء جمالاً التي يمكن أن تُرى في كل السماوات. إن البشر على كوكب الأرض لا **يقدِّرون** ما عندهم.

يُسمِّي الدكتور كانهام *Dr. Canham* الأرض: «الكوكب الواحة». إنها بقعة الجمال والإندهاش والتعجّب وسط فضاء الكواكب المُمتد. فإن كانت هذه الأرض الجميلة تخصّ اللّه، فيجب علينا أن نعاملها بالإحترام والإهتمام. هذا يعني أنّها خطيّة أن نلوّث البحار والمحيطات وجدوال المياه التي تمرّ بين الجبال، وذلك بأن نملأها بزجاجات الخمور والنفايات والكيماويات القاتلة والنفايات الذريّة. إنها خطيّة أن ندمِّر موارد الأرض بإتلاف الطعام أو بزيادة السكان الفائقة. إن كان هذا هو عالم اللّه، فإنَّ تعاملنا معه كشيء نمتلكه نحن، فهذا نوع من السرقة. إن عقيدة أن اللّه هو الذي خلق الأرض تعني أننا مسؤولون على المحافظة والإبقاء على جميع الموارد الطبيعيّة والبشريّة. لقد خلقَ اللّه الأرض لنا لنستخدمها ونفرح بها، لا لكي ندمِّرها ونسيء استخدامها ونعتدي عليها.

(٣) بعد أن خَلَقَ اللّه الأرض، فإنه أعطاها للإنسان ليتسلّط عليها:«تسلّطوا على سمك البحر وعلى طير السماء وعلى كل حيوان يدبُّ على الأرض» (تك١:٢٨)، إنه أمر رسمي للإنسان أن يسود على الطبيعة، والإنسان أنجز هذا من خلال العلم. الإنسان سادَ على المسافات من خلال الطائرات الجويّة والسيَّارات والمراكب الهائلة. تسلَّط الإنسان على الحرارة والبرد من خلال التسخين المركزي وتكييف الهواء، وأنواع الملابس، كما تسلَّط على المرض من خلال الطب.

إن أَمْرَ اللّه للإنسان: «تسلّطوا .. املأوا الأرض وأخضعوها»،

هو دعوة منه للإنسان ليكون خالقاً عاملاً مع اللّه. اللّه لم يخلق العالَم في الماضي فقط ، إنه لا يزال يعمل فيه مع الإنسان. يكتب الدكتور كارل يونچ *Dr. Carl Jung* «لا غنى عن الإنسان لاستكمال الخلقة ، إنه الخالق التابع للّه». إن الإنسان تمكَّن من السيادة على البيئة الطبيعيّة، وأصبح عمله العظيم الآن هو أن يخلق عالَم الحُب الذي يلاشي الحرب والصراع العنصري والفقر والمجاعة والأوبئة. إن أشياء كثيرة وجسيمة من الأخطاء حدثت في العالَم الذي خلقه اللّه بسبب خطيئة الإنسان، وصارَ على الإنسان الآن بنعمة اللّه وكخالقٍ مشاركٍ وتابعٍ للّه ، أن يحاول إصلاح ما قد تلف.

عندما خلقَ اللّه الأرض ، كان ممكناً له أن يُنهي على هذه العملية، ولكنه لم يفعل ذلك، لقد ترك عمليّة الخلقة غير منتهية حتى يمكننا أن نشارك في بهجة الخلقة مع اللّه. إنه ترك زيت البترول في الصخور في الأعماق، وترك الغابات قفار ، وترك الماس غير مقطوع ، والأنهار بدون جسور ، وترك المدن غير مبنيّة. إن اللّه بعد أن خلَقَ العالَم قال إنه وجده حسناً ، ولكنه لم يَقُل إنه كامل ، بل قال إن على الإنسان أن يعمل في الأرض وأن يُخضعها. اللّه أَمَدَّ الإنسان بعزيمة وتحَدٍّ ليكمّل ما بدأه اللّه. إن كل ما هو حولنا يدعونا أن نكمِّله بإلهام من اللّه ليكون مفيداً. إنّ ما يحتاجه الإنسان هو أن يشعر أن هناك احتياج إليه. اللّه أمَدَّنا بالعقل والروح الخَلاَّقة حتى نُكمل خلقته.

إنّنا نفكّر دائماً أن ما هو كامل هو جميل ، ومع ذلك شيء واحد لا يمكن للكمال أن يعمله. الكمال لا يمدّنا بالعزيمة والحماس. إن جمال ما ليس كاملاً هو أنه يحثنا على الإنماء والتخليق. هذا هو السبب الذي دعا اللّه أن يوجِدَنا وسطَ عالَم غير كامل لم يتمّ بعد.

رفَع شاب غطاء سيّارته (الفورد) المعطّلة محاولاً إصلاحها، وبعد فترة طويلة من الفشل، وقفت بجواره سيارة ليموزين وخرج منها رجلٌ وسيم ، وذهب إلى الشاب مباشرة ، ولمّا شعر بضيقته، طلب منه أن يعمل ضبطاً مُعيِّناً لجهاز توقيت الموتور ، وما أن عمل الشاب هذا حتى دار موتور السيارة للتوّ.

إندهش الشاب ، كيف عرف هذا الرجل ميكانيكيّاً سيارته ، فسأله مستفسراً: «مَن تكون» ، أجابه الرجل: «إنني أعلم جيّداً كل أسرار عربتك، وكيف تدور، وما هو المُحتمل أن يكون سبب عطلها، إنني هنري فورد *Henry Ford* مصمِّم العربة».

عندما تتعطّل الحياة وتخيب ، يوجد عندنا نحن أيضاً شخصٌ يَعلَم كيف يُصلحها ويجمعها مرَّة أُخرى، إنه الذي أوجدنا وأوجدها قال سكِّير: «حَياتي دُمِّرَت، لم يَعُد لها ضابطٌ ، فرصتي الوحيدة هي أن أعيدها إلى خالقها وأطلب منه أن يُقَوِّمها ثانية» ، وفعلاً عمل هذا .

مَن يكون خالق السماء والأرض ؟

خالق السماء والأرض: اسمه يسوع ، وقد علَّمنا أنّهُ يَعْتَبِرُ كل واحد منّا ثميناً ، لا حَدَّ لثمَنه ، بل وثمنه يفوق كل العالَم الذي خَلقه: «لأنهُ مَاذا ينتفع الإنسان لَوَ ربح العالَم كله وخسر نفسه ؟ أو ماذا يُعطي الإنسان فداءً عن نفسه؟ » (متى١٦:٢٦).

## الإنسان تحفة اللّه الرائعة

تناولنا بالشرح خلقة اللّه للكون:«خالق السماء والإرض ، ما يُرى وما لا يُرَى». والآن نأتي إلى تُحفة اللّه الرائعة: الإنسان.

يُصَوِّر لنا سفر التكوين اللّه عند خلقه للعالم يقول: «ليكن نور .. ليكن جَلَد في وسط المياه .. لتُنبت الأرض عُشباً ..» ولكن يذكر السِّفر خلقة الإنسان ، نجد أنّ اللّه لا يقول: «ليكن إنسان» ، فالإنسان قد وُضِعَ هنا على حدة بالنسبة لباقي الخليقة ، فنحن نقرأ في سفر التكوين: «وقال اللّه نعمل الإنسان على صورتنا كشبهنا ، فيتسلّطون على سَمَك البحر وعلى طير السماء وعلى البهائم وعلى كلّ الأرض وعلى جميع الدبّابات التي تدبّ على الأرض» (تك١:٢٦). جيءَ بالإنسان إلى الوجود من خلال عمل خَلْقي خاص من اللّه. إنه هو الفَريد بين المخلوقات التي على الأرض ، المخلوق على صورة اللّه. هناك تقع حقيقة شرف الإنسان .

توجَد أسطورة قديمة عن الخليقة تَصف اليوم الذي أتت فيه جميع البذور التي فيها حياة أمام اللّه ، وطلب اللّه منها ماذا تريده أن تكون. طلب البعض أن يكون فيلاً ، والآخر طلَب أن يكون نمراً ، وهكذا خلق اللّه الحيوانات. استصوبَ البعض أنه بما أن الماء يغطّي كل سطح الأرض أن تكون لهم زعانف ليسبحوا فيه ، وهكذا خلق اللّه الأسماك. فكَّر البعض أنه ما دام يوجد هواء في الجوّ أكثر من الماء ، أن تكون لهم أجنحة ليطيروا فيه، فخلق اللّه الطيور. طلب البعض أن يعيش في أمان وكان كل ما يشغلهم هو الطمأنينة ، فطلبوا أن تكون منازلهم من حولهم تحميهم ، فخلق اللّه السحالف والمحار والصَدَف. وبعد أن تكلَّمت جميع البذور الصغيرة ، بقيت بذرة واحدة مُتَّضعة جداً وخجولة ، فقال لها اللّه: «وماذا تريدين أنت؟».فقالت لستُ أُريد زعانف أو أجنحة ، ولكن اجعلني فقط كصورتكَ وأنا سوفَ أصنع لنفسي عندئذ أجنحة وقوارب ومنازل. إجعلني فقط كَشِبْهِكَ كصورتك ،آه لو أعطيتني هذه الفرصة! وتمضي هذه الأسطورة لتقول إنّ اللّه سُـرَّ بهذه الإجابة وخلق الإنسان على صورته».

## اليوم إن سمعتم صوته فلا تقسوا قلوبكم « مز٩٥:٩ »
## للقديس يوحنا الذهبي الفم

«اليوم إن سمعتم صوته فلا تقسوا قلوبكم »«مز٩٥:٩»، كلمة اليوم يمكن أن تقال على كل أزمنة الحياة حتى إلى غروب العمر إن أردت ، لأن التوبة لا تطلب بحسب كمية الزمن بل بحسب ميل القلب ، أهل نينوى لم يحتاجوا إلى أيام كثيرة ليرفعوا خطيتهم ، بل فى يوم واحد فقط نالوا محو آثامهم، اللص لم يستغرق وقتاً حتى يدخل الفردوس ، نطق كلمته فأغتسل من جميع خطاياه التى أرتكبها طيلة حياته ، ونال المكافأة بالخطوة الألهية قبل الرسل . فالحاجة إذن إلى الحرارة وإستعداد القلب ، فإذا أعددنا الضمير حتى يكره الشرور السابقة ونختار الطريق الآخر الذى يَسُرُّ اللّه فلا حاجة إلا إلى أقل وقت؛ سقوط الإنسان ليس بالأمر المحزن كمثل بقائه طويلاً فى هذا السقوط .

# من عجائب القديس يوحنا الروسي

رُزقَت إحدى العائلات بطفل مريض. وقد شرح لهم أحد الأطباء عن مرضه، موضحاً بشكل قاطع: «لقد وُلد طفلكم بمرض نادر، لا بل بالحقيقة بشكله الأكثر رداءة. وهو يحتاج لعمليات جراحية معقدة لا بدّ منها، لكنه ضعيف ولا يملك القوة لتحمُّل أي علاج نحتاجه للتهيؤ للجراحة. الشيء الوحيد الممكن هو أن ننتظر تطوراً ما في صحته، لكنه أمر غير مؤكد الحدوث».

كان رئيس الأطباء المسئول عن هذه الحالة اختصاصياً معروفاً. رفضت والدة الطفل كلام الأطباء المحليين فحثّت زوجها على بيع كل ما لديهم للذهاب إلى باريس حيث توجد مؤسسة طبية كبرى للعناية بالأطفال من أصحاب هذه الحالة. هناك، وجدوا النتيجة ذاتها، وكانت نصيحة الأطباء الفرنسيين بألاّ يُدخلوا أنفسهم أبداً في أي عملية قاسية ومكلفة.

كانت والدة الطفل تفكّر في كلام يختلف عن كلام الأطباء. فهي، كأمّ، خلقها الله وهي تعاونه وتساعده في عمله. فهي تتألم حقيقة وعلى استعداد لتقديم كل شيء فيما هي تصرخ في قلبها إلى الرب: «خلص طفلي».

أصيب الطفل بحرارة مرتفعة جداً، فأخذته أمه بين ذراعيها وركضت إلى خارج المستشفى. أوقفت سيارة أجرة وسألته أن يأخذها إلى فيشي، وهي مدينة في وسط فرنسا معروفة بنبعها المعدني وفيها دير أرثوذكسي روسي لوالدة الإله كانت قد زارته أيام دراستها. ودخلت الأم الى الدير وذهبت مباشرة إلى أيقونة العذراء مريم وقالت: «أيتها الأم الكلية القداسة لقد استُنْفدتْ شجاعتي. فإن كان لطفلي أن يموت، فليمُت أمام أيقونتك. أنا أتوسل إليك. أنت أيضاً أمّ وقد رأيت ابنك الغالي معلقاً على الصليب والدم يسيل حوله. لقد كنت قادرة أن تحتملي ذلك أما أنا فلا أستطيع أن أنظر ما قد جلبتُ إلى هذا العالم».

وكان في كنيسة الدير كاهن روسي اسمه سرجيوس إيفانوفيتس وكان يعرف القليل من اليونانية تعلمها خلال عمله لمدة في أثينا. هذا سمع كلام الأم فاقترب منها وقال لها بيونانيته المحدودة: «أنتم في اليونان عندكم قديس من وطننا، القديس يوحنا الروسي. إنه صانع عجائب عظيم. لقد حملتُ أيقونته لأعوام وكثيراً ما طلبت معونته. سوف أرسم علامة الصليب عليكِ وعلى ولدك بالأيقونة واللّه سيكون معك».

وعندما لامست الأيقونة جبهة الطفل تلوّى كالسمكة وصار عَرَقه بارداً. انحنت الأم لتضع شفتيها على جبهة الطفل، لا لتقبّله بل لتتحسس حرارته. لقد كان بارداً. من ثمّ أُقيمت سهرانية وصلوات طوال الليل من أجل الطفل.

في الصباح، عادت الأم إلى المستشفى وأُدخل الطفل. وبعد ثلاثة أشهر، ومن دون إجراء أي جراحة، تأكّد النمو الطبيعي لعظام الطفل، وعاد الساعدان والساقان المشوّهان لينموا بشكل متوازن. أكّد الأطباء الفرنسيون بأنّ الحادثة شاذة علمياً.

وتؤكّد أم الطفل الفرحة الآن بطفلها الذي يمشي بحيوية تامة، ويرتاد المدرسة: «إنها حادثة شاذة في العلم، لكنها من الإيمان ومن القديسين».